

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

عشرون عاماً في الثقافة

كلمات رئيس المؤسسة

منذ الدورة الأولى حتى الحادية عشرة





إعداد

الأمانة العامة للمؤسسة

1989 - 2009
الذكرى العشرون



عشرون عامًا في الثقافة

كلمات رئيس المؤسسة

منذ الدورة الأولى حتى الحادية عشرة

إعداد

الأمانة العامة للمؤسسة

الكويت

2009

راجعــــه

عبدالعزيز محمد جمعة

الصـف والتـنفيـذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

إخراج وتصميـم الغـــــلاف

محـمـد العــــلي

ردمــــــــك: 6 - 62 - 72- 99906 - 978 : ISBN

رقم الإيداع : 479 / 2009 :Depository Number

هاتف: 22430514 فاكس: 22455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

بين يدي هذا الكتاب

عزيزي القارئ..

هذه كلمات رئيس مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري منذ الدورة الأولى - التي أقيمت بالقاهرة في ١٧ مايو ١٩٩٠ بعد عام واحد من نشأة المؤسسة - حتى الكلمة التي ألقاها في افتتاح الدورة الحادية عشرة التي أقيمت في الكويت في أكتوبر من عام ٢٠٠٨.

وهذه الكلمات المتتالية عبر السنوات العشرين التي خلت وما صاحبها من كلمات لرؤساء الدول أو ممثليهم ورعاة الدورات، تتيح الفرصة للمتابع المهتم للتعرف إلى نهج المؤسسة وفكرها وتوجهاتها.

إن رئيس المؤسسة الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين لا يمثل مستثمرًا في مجال الثقافة بل هو مموّل محب للثقافة وللشعر على وجه الخصوص، ينفق بسخاء وبلا مردود مادي ولا يكتفي بذلك بل يمارس - حضورياً - العمل اليومي في المؤسسة وينفق من وقته وجهده الكثير الكثير بحب وبرغبة كبيرة في تخطي المألوف، والسعي دائمًا لتعزيز الحركة الثقافية العربية، وإبراز دورها، والأخذ بيد الشعراء والأدباء للمكانة التي يستحقونها وهم يستحقون الكثير في تقديره، بل إنه يقول دائمًا ويردد بأننا مهما أعطينا من مال وجهد لهذه الطائفة من الناس، فإننا لن نفيهم حقهم لأنهم يعطوننا عصارة فكرهم وذوب قرائحهم، فهم السبّاقون للخير وعطاؤهم لا يقدر بثمن.

أتركك عزيزي القارئ مع هذه الكلمات التي تتابعت لتتعرف إلى المؤسسة من أقوال منشئها وصاحبها، الساعي دائمًا لخير الشعر العربي والثقافة العربية. والحمد لله.

أمين عام المؤسسة

عبدالعزيز السريع

أكتوبر ٢٠٠٩

****

الـــــدورة الأولـــــى

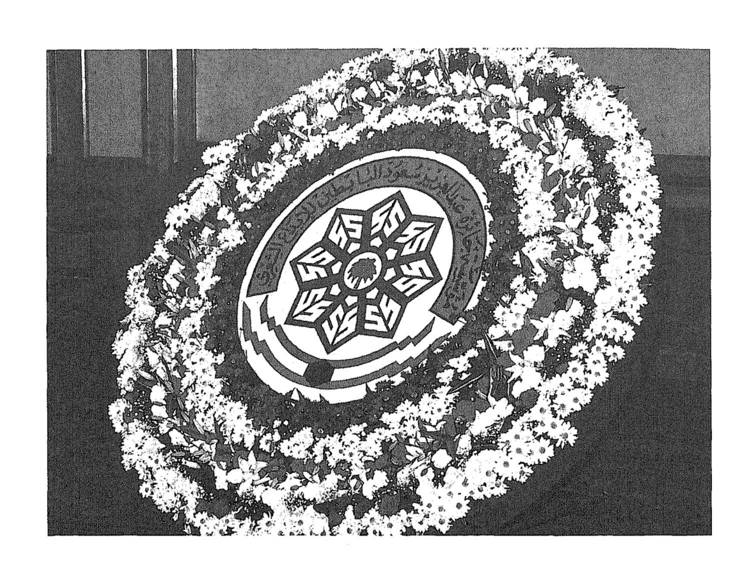
١٧ مايو ١٩٩٠

القاهرة / جمهورية مصر العربية

برعـــايـــة

معالي الأستاذ الفنان فاروق حسني

وزير الثقافـــــة



كلمــة
الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)
رئيس المؤسسـة



معالي الوزير الفنان الأستاذ فاروق حسني

الإخوة الحضور

لو قيلَ لي تَمْلِكُ الدنيا بأجمعها
ولا تكونُ أديبًا يحسنُ الأدبا

لقلتُ لا أبتغي هذا بذاك ولا
أرى إلى غيره مستدعيًا أربا

لجلسةٌ معْ أديبٍ في مذاكرةٍ
أنفي بها الهمَّ أو أستجلبُ الطربا

أبهى إليّ من الدنيا وزخرفها
وملئها فضّةً أو ملئها ذهبا

كانت حلمًا يدغدغ مشاعري منذ صباي وقفتي هذه بينكم، فيشهد الله بأن لكم في نفسي وملء جوانحي ولمن سبقوكم من الأدباء الأفاضل كل الإجلال والتقدير والاحترام والمحبة، إذ كنت أمني النفس فعلاً ومنذ صغري، وأنا أقرأ للزيّات والعقاد والرصافي والمازني وفهد العسكر والبارودي والمنفلوطي والأخطل الصغير والشابي وغيرهم من شعراء العروبة وأدبائها، كنت أمني النفس أن أقف بينهم أو بين من يرثونهم لأسهم بوضع لبنة لعلو صرح الأدب عاليًا في وقت انحسر فيه المد الأدبي إلى أدنى مستوياته للأسف.

(*) أقيم حفل توزيع جوائز الدورة الأولى للمؤسسة بفندق ماريوت القاهرة بتاريخ ١٧ مايو ١٩٩٠م، بالتعاون مع رابطة الأدب الحديث في القاهرة.

وإن هذا الانحسار جعلني أقارن بين حاضرنا وجهلنا التام بتراثنا العظيم وتجاهلنا المحزن له وبين ما كان يحدث منذ عهد قريب.

ففي بداية هذا القرن حيث كانت القاهرة تعج بمنتديات الأدب والثقافة تحدثنا مجلة «الهلال» بأن رقاع «بطاقة» الدعوة وزعت لحضور حفل إلقاء القصيدة العمرية للشاعر حافظ إبراهيم.. قصيدة واحدة فكان عدد الواقفين أكثر من عدد المدعوين والجالسين على المقاعد. كان هذا عام ١٩١٧ رغم انشغال الناس - آنذاك - بمعرفة نتائج الحرب العالمية الأولى.

هذا ما جعلنا نفكر في هذا الإسهام المتواضع من خلال هذه الجائزة لعلنا نعيد بجهدنا بعض أمجاد الأدب العربي.

إن تقدم الأمم يقاس بنوعية معطياتها للحضارة الإنسانية من نتاج، ولقد كان لإسهام العرب قبل قرون مضت، ولعدة قرون، الفضل الكبير في رفد الثقافة العالمية بالكثير من الروائع، وعلى مختلف الميادين، ذلك العقل العربي هو العقل العربي اليوم، والمشاعر العربية هي هي لم تتغير، ولكن هي بحاجة إلى صقل عن طريق الحوافز التشجيعية والمنافسة الحرة الشريفة لتواكب مسيرة العطاء.

فلقد كان حينئذٍ - أيام الزهو - تشجيع للشعراء خاصة والأدباء بشكل عام من قبل الخلفاء والأمراء والميسورين له الأثر الكبير في تقدم عجلة الحضارة العربية حيث كانوا ينظمون المسابقات ويخصصون الجوائز، وكانت الأسواق العربية الأدبية تقام على أرفع المستويات في المربد أو عكاظ في عصر ما قبل الإسلام.

وأتمنى أن يكون للمبادرات الخيرة التي يقوم بها - على قلتها - بعض الأفراد أو الهيئات الثقافية أو الرسمية أثر في رفع مستوى الأدب العربي إلى ما كان عليه في سالف الأزمان، كما أتمنى مخلصًا أن تكون مثل هذه المبادرات نهجًا يتبعه القادرون ماديًا ممن أفاء الله عليهم بفيض للعمل على النهوض بأدبنا العربي من عثرته التي يعيشها اليوم.

إن إقامة هذا المهرجان الأدبي بالقاهرة يعتبر تحية ود وإخاء من الكويت وأهل الكويت وفاءً لكنانة العرب وعرفانًا بالجميل لأدباء مصر ومثقفيها ومعلميها الذين قدموا إلى الكويت والخليج العربي منذ نصف قرن ليساهموا في دفع عجلة التعليم تحت ظل ظروف معيشية كانت صعبة بينما القاهرة عروس الشرق والعيش بها رغدًا.

كما أشكر رابطة الأدب الحديث ومقرها القاهرة والتي تبنت الجائزة وقررت أن تحمل اسمي المتواضع فشكري لهم بكل جوارحي، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان لمعالي وزير الثقافة الأخ الأستاذ فاروق حسني لتفضله برعاية هذا التجمع الأدبي الذي يدل دلالة لا تقبل الشك على اهتمامه بالأدب وأهله وهو يعكس اهتمام السيد الرئيس حسني مبارك بكل ما هو عربي.

ختامًا يسعدني جدًا أن أقدم تهاني القلبية للفائزين بالجوائز وأن أقول لمن لم يفوزوا بأنهم أيضًا قدموا لتراثهم ما نصبو إليه جميعًا، فمساهمتهم هذه لها كل التقدير في نفوسنا.

ومن على هذا المنبر يسعدني أن أدعو إخواني وأخواتي في الوطن العربي من محيطه إلى خليجه لأن ينضموا إلينا من خلال هذه الجائزة ويقدموا نتاجهم الفكري وإلى اللقاء في مثل هذا اليوم من العام القادم إن شاء الله.

*****

الــــدورة الثانيــــة

١٧ أكتوبر ١٩٩١

القاهرة / جمهورية مصر العربية

برعــايـــة

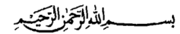
معالي الأستاذ الفنان فاروق حسني

وزير الثقافـــــة

كلمـــة

الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)

رئيس المؤسسـة



معالي الأخ الكريم الأستاذ فاروق حسني وزير الثقافة،،،

أساتذتي المحترمين، إخواني الأعزاء،،،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أكرم المرسلين وبعد،،،

فها نحن بحمدالله ومنّه نجتاز باقتدار السنة الثانية من عمر جائزتنا المديد بفضل من الله ثم بتشجيعكم الفعال لنا، بتجشمكم عناء السفر والحضور لحفلنا هذا، فلقد خطت الجائزة خلال العامين الماضيين خطى ثابتة وواسعة إلى الأمام للإسهام برفع الحرف العربي إلى ما يستحقه من مكانةٍ تتمنونها كلكم له، إذ لم يقتصر عمل مؤسسة الجائزة على وسيلة واحدة هي تشجيع حركة الشعر وتشجيع الشعراء بتوزيع الجوائز على الشعراء والأدباء المتميزين فحسب، بل تعداه إلى وسيلة أخرى هي الاهتمام بصلاتهم بعضهم ببعض، فمن خلال المشروع الذي بدأنا العمل به هذا العام وهو «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين» ستزداد قوة أواصر المحبة وعرا الوصل، والتواصل جسور المعرفة بين الشعراء العرب بجميع أقطارهم، ونرجو أن يكون هذا المعجم إن شاء الله روضًا من رياض الشعر الزاهر الرفيع، ونتمنى أن يبقى خالدًا على مرّ العصور تطالعه العيون والعقول لأجيالٍ قادمة كما قرأنا نحن طبقات الشعراء للطبري والأغاني للأصفهاني.

(*) اقيم حفل توزيع جوائز الدورة الثانية للمؤسسة بدار الأوبرا في القاهرة بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩٩١م.

فتلك هي الكلم الطيب وذلك هو الذي نطمع أن يرقى ليصبح مما ينفع الناس فيمكث في الأرض، لقد كان للتشجيع والرعاية التي أحاطتنا بها حكومة مصر العربية من خلال دعوة أخينا الأستاذ فاروق حسني لنا مشكورًا لإقامة هذا الحفل البهيج بدار الأوبرا، لقد كان لكل ذلك أبلغ الأثر في دفعنا إلى الأمام وهذا يدل بكل وضوح على تقدير السيد الرئيس حسني مبارك للثقافة ورجالها.

أيها الحفل الكريم،،،

اسمحوا لي بأن أحيي باسمكم جميعًا اللجان التحكيمية الثلاث التي قامت بأعمالها بالإخلاص الكامل والجد المثابر بحيث استحقوا شكرنا جميعًا، كما أشكر أيضًا السيدة وزيرة الثقافة السورية الدكتورة نجاح العطار على ما تفضلت به من استعداد تام لتقديم العون لنا في مجالاتنا الثقافية، وكذلك الأستاذ محمد الخرفي مدير إدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والتابع لجامعة الدول العربية بتونس على ما أبداه من مقترحات وآراء كان لها الأثر الفعال لمساعدتنا، ويسرني باسمكم أن أتقدم بالامتنان الذي يستحقه أستاذنا الكبير (يحيى حقي) الذي شاركنا باستشارته الثقافية وآرائه الفعالة وتطوعه للوقوف بجانبنا برغم كبر سنه والذي نتمنى له دائمًا الصحة والسعادة.

كما يسرني وبكل البهجة بأن أقف محييًا وبكل التقدير والمحبة والإكبار هذا الجمع الغالي والعزيز على نفسي شاكرًا حضوركم حفلنا هذا والذي يمثل بحق ومضةً مشعة في بلاد الإشعاع الفكري والأدبي بقاهرة المُعز لإنارة الطريق أمام الشعراء جميعهم كي نشعرهم بأن لهم مريدين وأن وراءهم محبين يتمنون إسعادهم كما أسعدونا دائمًا بقصائدهم المعبرة دومًا عما يختلج بضمير العربي في كل مكان.

ومن المصادفات اللافتة للانتباه بأنه في مثل هذا الأسبوع من حوالي ستين عامًا، في اليوم الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٣٢، انطفأت شمعة مضيئة وبراقة من شموع الشعر العربي، بفقد أمير الشعراء أحمد شوقي، رحمة الله عليه واليوم وبعد مرور هذه السنين الطوال وبنفس الأسبوع تنير شمعة نيرة على طريق التقدم والرفعة، ودعاؤنا إلى الله عز وجل بأن تكون هذه الجائزة امتدادًا طبيعيًا للطريق الذي سار عليه شعراؤنا وأدباؤنا آنذاك.

أساتذتي الأعزاء،،،

منذ سنتين كنت أعبر عن مشاعر أهل الكويت بل وأهل الخليج اتجاه مصر العزيزة، عندما اخترنا القاهرة مقرًا دائمًا لهذه الجائزة فمحبتنا للقاهرة نابعة من إحساسنا العميق والمؤكد بأن كل من فيها يبادلنا نفس الشعور، فلقد أثبتت المحنة المريرة والمؤلمة التي مررنا بها منذ أشهر بأن مصر وأهلها هم أهلنا، هم وكل من وقف معنا من الشرفاء من أبناء أمتنا العربية، وما دمنا يا أهلها نتحدث عن تلك المحنة الطاحنة، فإننا ندعوكم يا شعراء العرب، يا من وهبكم الله الحس المرهف لتتلمسوا آلام الآخرين ومعاناتهم، يا من تعبرون بصدق وأمانة عن ضمير أمتنا، ويا من بلغ فيكم الحس الإنساني أعلى مراتبه، ندعوكم من منطلق الإنسان أن لا تنسوا أسرارنا، فأنتم خير من يشعر بآلامهم ويحس بأحاسيسهم، ترجموا رجاءً تلك الأحاسيس المؤلمة التي يعانيها الآن إخوانكم الأسرى الكويتيون، ترجموها للشعب العربي في كل مكان ليعرف الجميع مرارة ظلم العربي للعربي.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً

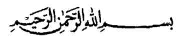
على النفس من وقع الحسام المهند

ذلك الظلم الذي وقع ولا يزال عليهم بلا ذنب ولا جريرة غير كونهم أحبوا وطنهم وأخلصوا له وذادوا عن أعراضهم وأموالهم وأنفسهم كما أمرهم دينهم الحنيف، وكما أملته عليهم أعراقهم العربية من الشهامة والنخوة، وتذكروا سادتي بأن من بينهم عشرات النسوة وأكثر من مائة طفل كويتي دون العاشرة، اختطفوهم من داخل بيوتهم، ويعجز العقل أن يجد تبريرًا لهذا العمل غير الإنساني.

ختامًا أيها السيدات والسادة لا يفوتني أن أتقدم بالامتنان والعرفان للسادة أعضاء مجلس أمناء الجائزة على ما بذلوه من جهد جهيد وتفانٍ جم لكي يصلوا بالجائزة إلى المكانة التي وصلت إليها، كما أتمنى لإخواننا الفائزين بجوائز هذا العام استمرار إبداعهم ومسيرتهم على درب الشعر الرائع واطراد النجاح والصحة للجميع، وإلى لقائنا القادم في أحد أيام أكتوبر من العام المقبل إن شاء الله، أرجو لكم السعادة والخير وطول البقاء والله يحفظكم جميعًا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

****

كلمــة
الأستاذ الدكتور محمد زكي العشماوي(*)



معالي الأستاذ فاروق حسني وزير الثقافة،،،

ضيوفنا الكرام الأجلاء الذين تفضلوا بمشاركتنا هذا الحفل،،،

الإخوة الأعزاء من رجال الأدب والفكر والثقافة والذين عملوا ما استطاعوا في سبيل إنجاح هذا المشروع،،،

إن هذا المعنى الكبير الذي نتجمع حوله كل عام، لهو أعظم وأجلّ وأغنى من كل جهد يبذل من أجله، لأنه ينطوي على قيمة حضارية رائدة استشعرها الشاعر الأديب الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين الذي أحس بمسؤولية هي دفع تجاربنا الأدبية والفكرية إلى الأمام، وأهمية هذا الدفع في بناء حضارتنا وارتقاء إنسانيتنا، فليس خافيًا على أحدٍ اليوم أن مستوى الأمم لا يقاس إلا بمستوى إبداعها وقدرتها على التعبير الفني والإصغاء إليه، ذلك أن تجربة الإبداع هي الوسيلة الحقيقية والحتمية لإرادة التغير، فهي التجربة التي ترتفع إلى أعلى، تخترق الأبعاد، تنتقل كالأثير، وتنتشر في دماء الناس على اختلاف أجناسهم وبلادهم، تمتزج بخلاياهم وأنفاسهم لا تعرف تأشيرة الدخول ولا جواز سفر، هنا تكمن خطورة التجربة الإبداعية في تاريخ الإنسانية، التي هي ملك لكل إنسان، فماهيّة هذه التجربة ليست في عددها أو كمها أو كيفيتها أو موضوعها، إن تجربة الإبداع تتخطى هذا كله في أنها تجربة فريدة ومبتدعة وحيّة وفذة وعميقة عمق الإنسان وعمق الدهور، طازجة طزاجة هذا الصباح، تولد حيّة وتبقى حيّة على الدوام، ثم تحمل فوق هذا كله رؤية للوجود ومعنى للحياة، ولعل أروع ما في هذه التجربة أن المبدع يظل يركض وراءها لا

(*) عضو مجلس الأمناء آنذاك.

يستطيع الكف عن محاولة اقتناصها، كل قصيدة هي محاولة غير منتهية ومحاولة لا محيد عن الاستمرار بها لحظة بعد أخرى وسنة بعد سنة، حتى تكتمل وهي لا تكتمل، إنها اللحن الذي لايتم أبدًا، إنها جنون الشاعر بالكلمة، وكلما كان الخيال أرحب وأعمق ازدادت التجربة رحابةً وعمقًا وازدادت جذورها تشعبًا في تجارب الماضي والمستقبل، في تجارب البشرية كلها. ومن هنا جاءت خطورة الإبداع في خلق الصلة بين المبدع والعالم بين ذاته وبين الآخرين، هذا التواصل يخترق أعماق الناس محطمًا سدود الحياة التقليدية واصلاً أغوار النفس التي اختزنت تجارب الحياة مع تجارب السلف منذ عهود بعيدة، فيصدر العمل الفني تجسيدًا مبهمًا لذيذًا، وتدفقًا محيّرًا، ولمعانًا حسيّاً، ووليمة روحية تملأ الكون بمتعة النور والبريق، تلك هي ماهيّة الإبداع، وهي مسؤوليته ويا لها من مسؤولية، تتولى اكتشاف الأعماق والآفاق الجديدة وتنطلق في مغامرة ذهنية في مجاهل الحياة، إنها استهداف القوة والجمال والحق.

من أجل هذا كان أقل ما يسعى إليه مشروع الجائزة أن يبعث الأمل في دفع جيل من المبدعين إلى بناء حياة أرقى وأجمل، فباسم مجلس الأمناء أحيي هذا العمل النبيل كما أحيي صاحبه الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين الذي لم يشأ أن يقتصر جهده على هذا الحد، بل آثر أن يضيف إلى مشروع الجائزة مشروعًا آخر لا يقل خطرًا أو أهميةً ألا وهو إعداد معجمٍ للشعراء العرب المعاصرين يكون بمثابة موسوعة تجمع هؤلاء الشعراء، تعرّف بهم وتنشر بعض أعمالهم وتيسر السبيل للاتصال بهم ودراسة شعرهم، وهي فكرة كما ترون تضيف إضافة علمية جليلة في جمع وتسجيل شعرنا العربي المعاصر والمتفرق هنا وهناك.

وفي ختام هذه الجولة، أرجو أن يسمح لي معالي الأستاذ فاروق حسني وزير الثقافة أن أتقدم إليه باسم مجلس الأمناء، بالشكر والعرفان بالجميل على تفضله برعاية هذا الحفل وتشريفه وتوزيع الجوائز على الفائزين، وتشجيعه الدائم لكل فكرٍ أصيل يحاول التعرف على الفن والارتقاء بالإنسان، كما لا يفوتني أن أنوه هنا بالمجهود الكبير الذي بذلته لجان الفحص على أيدي أساتذة أجلاء قاموا بفحص الإنتاج المقدم على مدى شهور متصلة فلهم من مجلس الأمناء كل تقدير وإجلال، كما أرجو أن تسمحوا لي باسم

مجلس الأمناء أن أثني على فريق العمل الذي قام بالإعداد والتنظيم والمتابعة، فقد كان المحرك الأول لما نجنيه من ثمرة في لقائنا هذا، وأخص بالذكر الزميل الناقد الصحفي الأديب الأستاذ مصطفى عبدالله ورفاقه الكرام وهم كثيرون، وأخيرًا وباسم مجلس الأمناء أتقدم بالتهنئة الخالصة لجميع الفائزين الذين شرفونا الليلة بالحضور وشرفونا بمجد انتصارهم وتفوقهم، وأود بهذه المناسبة أن أزفّ إليهم وإليكم نبأً سارًا سوف يسعدنا جميعًا ألا وهو قرار صاحب الجائزة الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين بمضاعفة قيمة الجائزة المخصصة لكل فائز اعتبارًا من الدورة الحالية، فهذه لفتة كريمة ومفاجأة سارة نعتز بها ونقدرها وتحيّيها.

وفي ختام هذه الكلمة أدعو الله أن يمكننا جميعًا من تحقيق تلك الانطلاقة الحرة نحو الأفضل والأعظم وشكرًا لحضوركم وحسن استماعكم. والسلام عليكم ورحمته وبركاته..

****

الــــدورة الثالثــة

«دورة محمود سامي البارودي»

١٢ - ١٤ ديسمبر ١٩٩٢

القاهرة / جمهورية مصر العربية

برعــايــة

معالي الأستاذ الفنان فاروق حسني

وزير الثقافــــة

كلمـــة
الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)
رئيس المؤسســة

أساتذتي الكرام، أيها الإخوة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

يسعدني أن أرحب بكم جميعاً ، في هذه الندوة التي تقيمها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في دورتها الثالثة: دورة «محمود سامي البارودي»..

ولكن الواجب أن أسجل باسمكم جميعاً، تقديرنا البالغ لإنجازات الراحل العظيم، الكاتب الكبير «يحيى حقي»، الذي فقدته الثقافة العربية هذا الأسبوع، ففقدت فيه رجلاً كريماً، أبياً، أعطى بلامِنَّة، وسخَّر قلمه ونفسه لخدمة الثقافة العربية، في مصر وسائر أنحاء الوطن العربي.

وقد استجبنا لوصيته، فلم نؤد حقاً له واجبًا علينا، بأن تصدر المؤسسة نعياً له في كبريات الصحف، تقديراً وعرفاناً، فقد وقف مع مؤسستنا وآزرها، وزودنا بنصائح ثمينة، كانت وما زالت وستبقى، محل اعتزاز واهتمام مؤسستنا، ولقد سعدنا بعضويته في لجنة تحكيم الدورة الثانية، وعاش الرجل كريماً، وتوفاه الله كريماً، فإلى رحمة الله، وإنني باسمكم جميعاً أقدم العزاء لأسرته ولمصر العزيزة، ألهم اللهم الجميع الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون..

أيهـا الإخـوة..

لقد كان مقرراً أن تتم هذه الندوة، مصاحبة لحفل توزيع جوائز المؤسسة لهذا العام في شهر أكتوبر، ولكن حوادث الزلزال المؤلمة ـ في هذا البلد العزيز علينا جميعاً ـ دعتنا

(*) أقيم حفل افتتاح الدورة الثالثة للمؤسسة بدار الأوبرا في القاهرة بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٩٢م.

إلى أن نلغي الاحتفال، وأن نؤجل الندوة. والله تعالى نسأل، أن يحفظ هذا البلد آمناً، وأن يقيه من كل سوء.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن اختيارنا ليوم ١٢ ديسمبر مفتتحاً لهذه الندوة، ليس من قبيل الصدفة، إذ إنه يصادف الذكرى الثامنة والثمانين، لرحيل هرم الأدب العربي المغفور له شاعرنا الكبير محمود سامي البارودي، حيث توفاه الله في مثل هذا اليوم: ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤.

وندوتنا تتناول نتاج محمود سامي البارودي الشعري بشكل أساسي. كما تتناول القصيدة العربية المعاصرة.

أساتذتي الأفاضل...

إن الموضوعين اللذين تتناولهما هذه الندوة، على جانب كبير من الأهمية، فالأول كان عن البارودي الذي أيقظ فجر النهضة للشعر العربي بعد سبات طويل، وأعاد للقصيدة العربية جزالتها ورونقها، وتأثيرها في النفوس، ووصل ما انقطع من تراث أبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وبشار، وابن الرومي، وغيرهم من أعلام الشعر، في حقبة ازدهار الحضارة العربية، وهو حقيقةً، الرائد العربي للتجديد الحقيقي للشعر العربي، وكان عطاء البارودي، ذلك الشعر الذي يفيض رجولة وعاطفة وشجاعة وحكمة، وتلك المختارات التي تقدم أفضل نماذج لروائع الشعر العربي في عصوره المختلفة.

والموضوع الثاني للندوة، يتناول القصيدة العربية المعاصرة من عدة زوايا، فبحثٌ أول يتناول التصور المضموني فيها، وثانٍ يبحث عن العلاقة بينها وبين الفنون الأخرى، وثالث يركزّ على الصورة في القصيدة العربية المعاصرة.

ولقد حرصت الدراسات التي تناولت شعر البارودي، على الربط بين نتاجه هذا، – باعتباره حاملاً للواء الكلاسيكية في الأدب، وحاملاً للواء التجديد، ومبشراً بالرومانتيكية– وبين المعاصرة، وتناولت إنتاجه هذا في ضوء الدراسات النقدية الحديثة.

وإني لأنتهز هذه الفرصة، لكي أشكر كل من عمل معنا للإعداد لهذه الندوة، وأشكر الأساتذة الأجلاء، الذين يناقشون أبحاثهم في ندوتكم هذه، على كريم استجابتهم لدعوتنا للكتابة في الموضوعات التي تم تحديدها، كما أشكر الإخوة المعقبين، وكل من جاء للمشاركة في هذه الندوة.

ويبقى أن أشير في مستهل ندوتكم هذه، إلى أن جهد مؤسستنا في إحياء ذكرى البارودي والتنبيه إلى إنجازاته الكبرى، لم يقتصر على القسم الأول من الندوة، بل امتد ليحتوي أهم أعماله، ويقدمها مجدداً للمتابعين والمهتمين. وقد تمثل ذلك في إعادة طبع الديوان الكامل في مجلدين، بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، وقد كتب المقدمة له الناقد المعروف الأستاذ الدكتور جابر عصفور. كما أصدرنا بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، «مختارات البارودي»، بعد أن قام فريق من الباحثين، بإشراف عضو مجلس الأمناء للجائزة الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة، بتحقيق المختارات، وقد كان جهدهم المشكور كبيراً، وسينال رضاكم بإذن الله، لكن المطبعة لم تتمكن من إنجاز المجلد الثاني، الذي سيرسل لكم إن شاء الله لبلدانكم، حال إنجازه. ويليه الثالث ثم الرابع بإذن الله.. وإني أغتنم هذه الفرصة، لأحيي الأخ الكريم الأستاذ الدكتور سمير سرحان، رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومعاونيه، على ما بذلوه من جهود في هذا المجال.

ولقد تمكّنّا بعون الله، ثم بمشورة الإخوة أعضاء مجلس الأمناء من إنجاز طباعة كتاب المغفور لها الأستاذة الدكتورة نفوسة زكريا، عن البارودي، حياته وشعره. الذي ألّفته عام ١٩٥٢، وظل حبيساً لم يطبع حتى الآن، حتى قيّض الله له هذه الفرصة ليظهر إلى النور. وقد أشرف على إخراجه الأستاذ الكريم الدكتور محمد مصطفى هدارة، الذي تمكن أيضاً مع فريق من الباحثين من إعداد كتاب مهم آخر هو «مصادر دراسة البارودي»، فللدكتور هدارة ومعاونيه تقديرنا البالغ على جهدهم العلمي البارز.

ولقد وفقنا الله إلى نسخة من طبعة قديمة لقصيدة البارودي «كشف الغمة في مدح سيد الأمة» وتقع في (٤٥٠) بيتاً، في مدح رسول (ص) فأعدنا طباعتها في كتيب مستقل، وستتاح مع غيرها من المطبوعات للإخوة المشاركين جميعاً.

ولن يفوتني أن أهنئ الإخوة الذين فازوا بجوائز المؤسسة عن إبداعهم الشعري والنقدي، وإنني لعلى يقين من أن عطاءهم السخي، سيظل متدفقاً ومتميزاً.

وفي نهاية كلمتي هذه أعود فأشكركم جميعاً الشكر الجزيل، وأشكر راعي حفلنا هذا معالي وزير الثقافة الأستاذ فاروق حسني، وهذا البلد المضياف الذي نقيم ندوتنا على أرضه الطيبة، وشكراً لكم جميعاً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

****

الـــــدورة الرابعة

«دورة أبي القاسم الشابي»

١٠ - ١٢ أكتوبر ١٩٩٤

فاس / المملكة المغربية

برعـــايـــة

جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني

عاهل المملكة المغربية

وبحضور صاحب السمو الملكي

ولي العهد سيدي محمد

كلمــــة

الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)

رئيس المؤسســة

بسم الله استعنا، وبه نستعين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

صاحب السمو الملكي ولي العهد الجليل، أساتذتي الكرام، ضيوفنا الأعزاء.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

يسر «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» غاية السرور أن تحييكم تحية الأخوة والود، وبالنيابة عن الإخوة في مجلس الأمناء وهيئة «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين» وأصالة عن نفسي، أرحب كل الترحيب بحضوركم هذا الحفل الثقافي الذي يشرف برعاية صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، ويسعد بحضور هذا الحشد الكبير من أعلام الفكر والأدب من شتى بقاع الوطن العربي وخارجه، والذي تميز بأن حمل اسم شاعر تونس الكبير المغاربي العربي «أبوالقاسم الشابي».

لقد تفضل جلالة الملك الحسن الثاني - سلمه الله - فطرح منذ أشهر قليلة فكرة رائعة، وهي أن تبدأ هذه الكنوز الثقافية - ويعني بها الجمعيات الثقافية المغربية - بمد جسور التعارف والتواصل والمحبة مع أدباء المشرق العربي والعالم أجمع، وكأنما مبادرة جمعية «فاس سايس» الثقافية التي أخذت على عاتقها دعوتنا لإقامة حفلنا هذا تحت عنايتها الفاضلة، وبمدينتهم العتيقة ذات العبق التاريخي المميز، وكذلك تجاوبنا مع هذه الدعوة العربية، هما النتاج السريع لتلك الدعوة الكريمة التي أطلقها جلالته.

فباسمكم جميعًا نتقدم شاكرين لجلالة الملك هذه المكرمة ولجمعية «فاس سايس» هذه الدعوة التاريخية. إن تفضل جلالة الملك الحسن الثاني - رعاه الله - بأن يكون

(*) أقيم حفل افتتاح الدورة الرابعة بفندق جنان فاس في مدينة فاس المغربية بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٩٤م وبالتعاون مع جمعية فاس سايس.

حفلنا هذا تحت رعايته السامية والكريمة ، ليدل بلا شك على ما للثقافة في نفس جلالته ونفوس كل المثقفين المغاربة من مكانة مرموقة، وتقدير كبير، كما يدل على تقديره الخاص للشاعر العظيم «أبو القاسم الشابي» وأيضًا لمكانة الكويت المتميزة في قلب جلالته وكذلك في نفوس أبناء الشعب المغربي الشقيق.

أساتذتي الكرام ، أخواتي الفاضلات

منذ الدورة الماضية بدأنا بإطلاق اسم أحد رواد الحركة الشعرية العربية على دوراتنا، فكان فارس الدورة الثالثة هو رائد الإحياء محمود سامي البارودي، فأعادت المؤسسة طباعة ديوانه، كما عمدت إلى تحقيق مختاراته ونشرها في أربعة مجلدات، ومجموعة أخرى من المطبوعات تتناول سيرته وفنه، كما أقيمت ندوة كبرى حول شعره والقصيدة العربية المعاصرة. وها نحن اليوم في دورتنا الرابعة نتخذ اسم الشاعر العبقري «أبي القاسم محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشابي» لنسلط الضوء على أعماله وإنجازاته . لقد سعدت كثيرًا عندما اختار الإخوان بمجلس أمناء المؤسسة اسم شاعر تونس الكبير «أبوالقاسم الشابي» لتحمل دورتنا الحالية اسمه الكريم، لأنني قرأت له ديوانه مرات ومرات في صباي المبكر، وأعجبت به وأحببت شعره وتأثرت كثيرًا بتعبيراته وصوره وموسيقاه العذبة . لذا فقد منحني الإخوان فرصة تاريخية للإسهام بإحياء ذكره وتقدير فنه وموهبته الفذة، وفي مدينة فاس التي أحبها حيث كتب عن شعرائها، وسترون ضمن مطبوعاتنا لهذه الدورة نص المحاضرة التي ألقاها في يناير عام ١٩٣٠ حول شعراء المملكة المغربية وبينهم كوكبة من أعلام فاس الكبار. إنني سعيد بكل هذا لأنه يتطابق مع أحد أهم أهداف هذه المؤسسة، وهو مد جسور الثقافة والمعرفة والمحبة والتواصل بين الأدباء والشعراء المشارقة وإخوانهم الأدباء والشعراء المغاربة، من الكويت من مجلس التعاون الخليجي وعبر القاهرة من خلال تونس موطن الشابي حتى مدينة فاس الثقافية وعبركم أنتم أيها الأساتذة الكرام الذين تمثلون أنحاء وطننا العربي، ولنثبت للجميع بأن ثقافتنا العربية واحدة وموحَّدة.

لم يقتصر عمل المؤسسة على ما سبق ذكره، بل تعداه إلى عمل ثقافي هام وهو «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين» الذي نأمل أن يكون المركبة الخالدة التي

ستسافر بشعراء هذا العصر للمستقبل البعيد، ولنعطي للأجيال المتعاقبة صورة الشعر والشعراء في وقتنا الراهن، كما فعل أسلافنا العظام عندما صنفوا في الشعر والشعراء وطبقاتهم الكثير من أمهات الكتب التي تعيش حتى يومنا هذا، تحفظ لنا كنوز تراثنا العظيم، فبعد الجهد الجهيد والمتواصل لهيئة المعجم والعاملين معهم في المكاتب الرئيسية الأربعة في القاهرة وتونس وعمان والكويت، ومن خلال العشرات من مندوبي المعجم المنتشرين في كل الأقطار العربية وخارج الوطن العربي ولحوالي أربع سنوات من العمل الدؤوب، وتحت الإشراف المباشر لمجلس الأمناء، وصلتنا استمارات لأكثر من ثلاثة آلاف شاعر عربي سيدخل أكثر من نصفهم بتراجمهم الذاتية التي كتبوها بأنفسهم، ونماذج من أشعارهم اختاروها بإراداتهم ليكون «معجم البابطين» معبرًا عنهم بصدق كما أرادوا، وما زلنا نقبل استمارات الشعراء العرب حتى نهاية هذا الشهر (أكتوبر ١٩٩٤) وسيظهر إن شاء الله – هذا المعجم إلى النور بسبعة مجلدات وبحوالي خمسة آلاف صفحة خلال العام القادم ١٩٩٥ بحفل سيقام لهذا الغرض في دولة الكويت بإذن الله، كذلك نحن الآن بصدد التخطيط للعمل على إصدار سلسلة دورية للشعر والشعراء العرب.

إخواني الأعزاء

باسمكم جميعًا يسرني أن أتقدم وكلي سعادة وفرح للإخوان والأخوات الذين فازوا بجوائز دورة «أبوالقاسم الشابي» لهذا العام متمنيًا لهم الصحة والسعادة والتدفق بالعطاء والمزيد من الإبداع. نحن في المؤسسة جميعنا نعلم بالتأكيد أن الجوائز لا تخلق الإبداع، وإنما هي التعبير عن الفرحة والترحيب والإعجاب بذلك الإبداع. نحن نعلم علم اليقين أن عصارة الفكر والروح لا تقدر بثمن مادي أبدًا، وأن ما نقوم به الآن هو تعبير رمزي، وهو ببساطة كلمة شكر وثناء ومحبة يستحقونها منا جميعًا، وسيظل الإبداع والمبدعون هم الفائزون وحدهم.

صاحب السمو الملكي ولي العهد، أساتذتي الكرام

ما كانت المؤسسة بمستطيعة أن تحقق هذه الإنجازات في هذا الوقت القياسي القصير من عمرها لولا فضل الله، ثم لولا ما تجده من تقدير الأوساط الثقافية والأدبية والإعلامية

ممثلاً بكون حفلنا هذا تحت الرعاية السامية لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وحضور سمو ولي العهد الذي أعطى لحفلنا هذا إشعاع البهجة والأهمية الكبيرة، وهذا الحشد الكبير من رجالات الدولة هنا والجمع المبشر للخير من رجالات الفكر والثقافة العربية.

﴿ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ [آل عمران -٧]، والله يحفظكم جميعًا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

كلمة الأستاذ عبدالهادي بوطالب

مستشار جلالة الملك الحسن الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم . صاحب السمو الملكي الأمير الجليل ولي العهد، صان الله شبابكم، وأمتعكم برضا والدكم العظيم، حضرات السيدات والسادة:

نعيش اليوم في هذه المدينة التاريخية لحظات إشراق ، نستمتع بها في رحاب الشعر الذي يهدف هذا اللقاء إلى تمجيده لتكريم الشعراء المجلين المستحقين لنيل جائزة «مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري»، التي استهدف أخونا الفاضل من إنشائها سنة ١٩٨٩ تشجيع الشعراء وتحفيز قرائحهم على الإبداع الأدبي، والتنافس الفني، ليظل حاضر العرب في ميدان الشعر والآداب مشدودًا إلى ماضيهم الأصيل، وتحتضن مدينة فاس الدورة الرابعة لاجتماعات المؤسسة، الدورة التي تحمل اسم الشاعر الكبير أبي القاسم الشابي، وتحظى برعاية سامية من جلالة الملك الحسن الثاني، راعي النهضة الفكرية العربية منتدبًا عنه لافتتاح هذا الاجتماع سمو ولي عهده الكريم في التفاتة ملكية واضحة الدلالة إلى ما لحركة الإبداع من مكانة في نفس جلالته ، وما يوليه للإنتاج الفكري العربي من فائق العناية وكريم الرعاية، وهو العالم المثقف، والكاتب المبدع، والخطيب المفوه البليغ. ويزدان هذا الجمع الكريم بحضور متميز لقادة الفكر العربي المسؤولين عن الثقافة والتربية في الأقطار العربية، وبمشاركة جمهرة غفيرة من رواد القريض الملهمين والكتاب المبدعين ، يلتقون جميعًا في ضيافة مؤسسة الإبداع الشعري الكويتية وجمعية فاس سايس المغربية التي أنشئت لتعيد لهذه المدينة التاريخية صورتها المشرقة كعاصمة علمية زخرت على امتداد ما يزيد على أحد عشر قرنًا بأبهاء الثقافة ، ومسارح الفكر وعجت بمعاهد العلم ومدارس الطلاب العتيقة. وانتصبت على رأسها جامعة القرويين تاجًا مرصعًا بالدرر في إشارة إلى أن العلم يعلو ولا يُعلى عليه.

ولتركيبة اجتماعنا هذا في هذا المحفل الكبير، وعلى هذا الشكل، الكثير من الدلالات، فلأشير في اقتضاب إلى بعضها . لقد أبى أخونا الأريحي الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين إلا أن يرقى إلى مستوى رفيع من الأريحية بسعيه الدؤوب إلى تمجيد الفكر واحتفائه بذويه، مسخرًا مما أفاء الله به عليه لاستثماره خيرًا في ما ينفع الناس ويمكث في الأرض وتثيبه السماء، غير قانع بالاقتصار على الاستفادة الذاتية مما تدره عليه مشاريعه الإنمائية الموزعة عبر الكويت وأوربا وأمريكا والصين والشرق الأوسط، مفضلاً أن يصرف من ذلك على وطنه العربي كله، وفي مجال قل أن يجلب اهتمام المستثمرين المستربحين: مجال الشعر والإبداع الفكري.

وإذ تنتظم هذه الدورة الرابعة في رحاب مؤسسة غير حكومية من الكويت، وجمعية غير حكومية من المغرب ، فإن هذه دلالة أخرى تؤكد أن شعار الوطن العربي من الخليج إلى المحيط شعار يشق طريقه إلى التطبيق ليس فقط على صعيد السياسيين وفي مجال السياسة عالم المتغيرات ، ولكن على الصعيد الشعبي الذي له من الثوابت ما لا تؤثر عليه المتغيرات الحائلة، ولا تزعزعه الأعراض الزائلة، وما أكثر ما تنتاب عالمنا العربي.

ودلالة أخرى تتمثل في أن هذا الاجتماع وإن كان يبدو عاديًا للبعض، فإنه في ظلمات النفق الذي أدخلت فيه السياسة العلاقات العربية – العربية، هو قبس من نور يشع بضيائه كواحد من الأقباس النيرة التي تضيء من حين لآخر منعشة آمال شعوبنا العربية بعد اليأس، ومقوية عزائمها بعد التخاذل في تحقيق التضامن، ورعي الأخوة، وهما من الثوابت العربية من المحيط إلى الخليج ، وأن تجشم «مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين» نفسها عناء الحج إلى مدينة فاس لتقيم بها دورتها الرابعة ، فتلك دلالة على أن كل شيء يرشح هذه المدينة بالذات والمغرب بصفة عامة لاحتضان هذا اللقاء، لما لفاس من وشائج حميمة وصلات عريقة بالفكر والإبداع والشعر والشعراء، فاس التي ألهمت الأديب الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين – وهو يزور مآثرها – بقصيد شهير بديع جعلني أفهم – عندما اطلعت عليه – دواعي اهتمامه بالشعر والشعراء ، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه. ومن بين الدلالات التي يبرزها هذا الاجتماع انعقاده بالمغرب البلد الذي أصبح مشهورًا بأنه أرض اللقاءات لكثرة ما ساهم به من اجتماعات ولقاءات وقمم، كأن أولاها وأقدمها قمة «أنفا» بين قيادة الحلفاء، ثم في فجر استقلاله قمة الدار البيضاء لتأسيس

نواة العمل الأفريقي ، وتلتها سلسلة القمم العربية والقمم الإسلامية، بدءًا بالقمة الإسلامية الأولى التي انبثقت عنها منظمة المؤتمر الإسلامي، وتوج ذلك عقد المؤتمر العالمي للتجارة، وها هو المغرب يستعد ليستقبل مؤتمرًا دوليًا لم يتقدم له مثيل في التاريخ، يستهدف تنمية منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في انطلاقة مؤشرة لقيام هذه المنطقة بأعباء السلام والبناء ، بعد أن أنهكها وشلها مجهود الحرب طيلة نصف قرن، ولن تنتهي أشغال هذا المؤتمر في مفتتح نوفمبر إلا ليأخذ المغرب الاستعدادات اللازمة لعقد مؤتمر القمة الإسلامية خلال شهر ديسمبر الموالي، وتضيف إلى هذه الدلالات التي يعطيها هذا اللقاء التحام قضية كفاح الشعب العربي في مشرقه ومغربه للسير قدمًا على أرضية المصير العربي المشترك، الذي لا يغني في قطع مسيرته اهتمام شعوبنا بالسياسة والتعاون الدولي عن اهتمامها بالتنمية الاقتصادية والإبداع الفكري وتكريم المبدعين ، فالصرح الذي نتجند لإعلائه محتاج إلى أن ترسي قواعده لبنات من كل صنف ونوع وليست لبنة الفكر لا أقلها ولا أدناها، بل إنها الحجرة الأساس في ذلك الصرح الشامخ ، أما أن ينيب جلالة الملك الحسن الثاني – نصره الله – عنه في نهاية هذا اللقاء ابنه الكريم وولي عهده الأمين، فتلك دلالة مفصحة عما يؤمن به جلالته من مساهمة الشباب في صنع الفكر، وما يحرص على تكليفهم به من مؤسسات ومسؤوليات الإبداع والعطاء في سن الإبداع والعطاء. وإن سموه قد دخل وهو في سنه المبكرة – أطال الله عمره – في عداد المؤلفين من رجال القانون، من خلال رسالته وأطروحته، وهل خلا خطاب لجلالته من الحديث عن دور الشباب ومسؤولياته، أليس أن جلالته هو منشئ مجلس الشباب والمستقبل في إيماءة واضحة منه إلى أن معادلة تطوير نهضة المغرب التنموية هي ذات شقين: شباب يصنع المستقبل ، ومستقبل واعد محقق لآمال الشباب وتطلعاته، وما من شك في أن الشباب العربي – ومنه مبدعو الفكر من شعراء وكتاب – هو جسر الحاضر إلى المستقبل.

سيدي صاحب السمو الملكي الأمير ولي العهد ، حضرات السيدات والسادة

إن هذا اللقاء بجميع دلالاته وأبعاده هو اللقاء الذي سيلتقي على أرضيته حاملو مشعل الشعر والإبداع الفكري ، وسيحول طيلة ثلاثة أيام مدينة فاس إلى سوق عكاظ جديدة تحيي وتجدد ذكرى سوق عكاظ التاريخية التي كان موقعها في عهد الجاهلية في

الجزيرة العربية ما بين مخلصة والطائف وذي المجاز ، وكذلك الشعراء العرب، يغشونها ليعرضوا فيها بضاعة من نوع متميز وفريد ، بضاعة الشعر كانوا يعرضونها بالمجان طيلة عشرين يومًا تبتدئ بالفاتح لذي القعدة من كل عام وتنتهي يوم العشرين منه، ليتسابقوا فيها أمام الحكام من فحول الشعراء لنيل جوائز التقدير بتذهيب قصائدهم وتعليقها في الكعبة، وترتيبها على حسب جودتها ترتيبًا يولي الشاعر مكانة مرموقة في المجتمع، ويقعد قبيلته مكانة الشرف الفكري الذي يضاف إلى شرف الحسب القبلي، أو يرفع للقبيلة الوضيعة شأنًا لم يكن لها من قبل، وكان هذا التقدير يضاف إلى ميزات القبائل ومبررات التباهي والتفاخر ، وكان الحكام يختارون لتقييم القصائد من بين الشعراء الذين قطعوا على مسيرة الشعر أشواطًا ثبتت معها أقدامهم على أرضيته ، وارتفعت بها أقدارهم بدون منازع في دنيا الفكر ، وكان من بينهم حكام مشهورون، في طليعتهم شاعر المعلقة المشهور النابغة الذبياني، واستمر هذا التقليد بعد نهاية عهد الجاهلية وأيام العهود الإسلامية الأولى حيث عرفت أسواق أدبية من نوع عكاظ، كان من بينها سوق المربد في البصرة، الذي كان كما قيل عنه مفخرة الأوساط الأدبية، وربما يرجع تقدير الشعر وإكبار الشعراء إلى تقدير حقيقة المعاناة التي لابد لكل شاعر من أن يحياها ويتحملها بسبب أكثر مما يتحمل الكاتب ليُكتب معها الشاعر في سلك الشعراء، فالمعاناة الشعرية مكابدة لا يقوى عليها إلا القليل ، لقد كان الفرزدق يقول: إنه لتمر عليّ الساعة تلو الساعة ولقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من عمل بيت من الشعر، وكما قال الشاعر القديم:

الشعر صعب وطويل سلمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه ... يريد أن يعربه فيعجمه

وهذا السلم الطويل المحفوف تسلقه بالمخاطر يحتاج الشاعر في ارتقائه للظفر بطول الباع إلى طول النفس وطول المعاناة وطول المثابرة، حتى يصنف من بين من يعترف له الفكر الأدبي من الانتماء إلى أسرة الشعراء المبدعين ، ذلك أن الشعراء – يا صاحب السمو الملكي– قد صنفوا كما تعلمون تصنيفًا رباعيًا تحدث عنه أحدهم فقال:

الشعراء فاعلمن أربعه

فشاعر يجري ولا يُجرى معه

وشـــاعـــر يصـــول يوم المعـــمـــعـــه
وشـــاعـــر يكون دومًـــا إمّـــعـــه
وشـــاعـــر لا تسـتـحـي أن تصـفـعـه

لقد كرمت المجتمعات في عهود الازدهار الأدبي الصنفين الأولين من الشعراء ممن يجولون في حلبة الشعر والفكر ويصولون، ومن لا يجارَون فنّاً وإبداعًا، ومن لا يتطاول أحد من الناس على النظر إليهم شزرًا فأحرى أن يهم بصفعهم، وعلى شعر هؤلاء يصدق تعريف الشعر للشاعر أبي القاسم الشابي الذي تحمل هذه الدورة اسمه، والقائل:

يا شـعـر أنت مـدامع علقت بأهداب الحـيـاة
يا شـعـر أنت دم تفـجـر من كلوم الكائنات

والشاعر الشابي هو القائل أيضًا:

مـا الشـعـر إلا فـضـاء يرف فـيـه مـقـالي
الشـعـر إن لم يكن في جـمـالـه ذا جـلال
فـإنما هو طيف يسـعـى بوادي الظلال

أو كما قال الزهاوي عن الشعر:

إذا الشـعـر لم يهـززك عند سـمـاعـه
فليس خليـقًـا أن يقـال له الشـعـر

وهو القائل أيضًا:

والشـعـر مـا لم يكن ذكـرى وعـاطفـة
أو فكرة فـهـو ألفـاظ وأوزان

والتركيز في إعراب الشعر – يا سيدي – عن الفكرة إلى جانب العاطفة والذكرى، ملحظ يحدد رسالة الشعر الملتزم، فما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء تمرة، ولا كل ألفاظ موزونة مقفاة شعرا.

وأود – والفرصة تتاح لي اليوم وأنا أتشرف بالحديث أمام سموكم الكريم في هذا المهرجان الأدبي الذي يشرف برئاستكم له – أن أنفي عن الإسلام ونبيه عليه السلام تهمة التنديد بالشعر والنهي عن تعاطيه، وتصنيف الشعراء في عداد المنحرفين وتابعيهم في عداد الغاوين، وبكل أسف فهذه التهمة تلقفها حتى بعض المفسرين من إخراج الآيات

القرآنية من سياقها، واقفين بذلك على (ويل للمصلين). إن القرآن نفى عن النبي الأمي وصف الكاهن الساحر والكاتب الذي يخط القرآن بيمينه، وعن الذكر الحكيم أن يكون شعرا، فالنبوة والرسالة صفتان قدسيتان لا تشبهان صفة الشاعرية، والشعراء الذين جاء ذكرهم في سورة الشعراء في الآية **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾** الشعراء (224-226) ، هم أولئك الشعراء الجاهليون الذين وظفتهم قوات الشرك في مجتمع ما قبل البعثة النبوية لهجو النبي والطعن في رسالته وقد كانوا كثيرين اشتهر من بينهم النضر بن الحارث ، وهبيرة بن أبي وهب، ومسافر بن عبد مناف ، وأبوعزة الجمحي ، وابن الزبعرى، وأمية بن أبي الصلت، وأبوسفيان بن الحارث ، وأم جميل العوراء بنت حرب زوج أبي لهب، حمالة الحطب ، ومما كانت تنشده في هجو النبي أرجوزة كانت لازمتها: مذمما عصينا – أي النبي – وأمره أبينا ، ودينه قلينا (أي أبغضنا)، فتعرض القرآن الكريم لهؤلاء الشعراء المرتزقة الذين يهيمون في كل واد، ويهرهرون أفواههم باللهو في كل ناد، ويمتطون متن الكذب خدمة لأغراض خسيسة، ويغوون أتباعهم من الجهلة والأميين الذي يغترون ببريق قوافيهم وأوزانهم ، ومع ذلك فقد استثنى الله منهم: **﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾** الشعراء/227، فباب التوبة مفتوح، والدعوة المحمدية فاتحة ذراعها لمن اهتدى بعد الضلال.

وهكذا فرق الإسلام بين الشعر الهادف الملتزم بالقيم فمدحه وأطراه، والشعر العدواني المتحلل من المثل فذمه وندد به وعرّاه ، وذهب النبي – عليه السلام إلى أبعد من ذلك – فاستصفى بدوره حوله مجموعة من الشعراء المؤمنين الملتزمين ، ومن بينهم كعب بن زهير الذي خلع عليه بردته بعد أن أنشده قصيدته التي مطلعها« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول» والتي جاء فيها:

إن الرسـول لنور يستـضـاء به
مهند من سـيوف الله مسلول

ومن بينهم حسان بن ثابت الذي كان الرسول ﷺ يحثه على أن يرد على الشعراء الجاهليين بالشعر ، ويقول «اهجهم وروح القدس معك» ومن بينهم عبدالله بن رواحة ، وقد روي عن النبي – عليه السلام – الحديث القائل «إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا» كما روي عنه ما أخرجه الزهري عن كعب بن مالك، قال: يا رسول الله ما تقول

في الشعر: قال: إن المؤمن يجاهد بالشيئين: بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل (أي عندما تردون عليهم بالشعر فكأنما ترمونهم بالنبال القاتلة). أما قوله تعالى: **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾** فلايحسن أن يفهم على أنه الحكم على الشعر بما يفيد تحقيره، أو الاستهانة بشأنه باعتباره فنًا لا تليق ممارسته، ففهم هذه الآية **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾** «على هذا النحو أقرب ما يكون إلى المعنى الدارج السوقي ، وإنما يفيد التعبير القرآني أن طبيعة الشعر تختلف عن طبيعة الرسالة فللشعراء مهمتهم وللرسل والأنبياء رسالتهم السماوية المقدسة، ولا صلة ولا ارتباط بين الصنفين على غرار قوله تعالى - والقرآن يفسر بعضه بعضًا - في آيتين أخريين: **﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾** بدون تفضيل، وقوله أيضًا: **﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾**.

حضرات السيدات والسادة

إن احتضان جمعية «فاس سايس» لهذه التظاهرة الثقافية الكبرى، يدخل ضمن رسالتها التي أنشئت لتحقيقها ، فقد عملت منذ نشأتها على تكريم الفكر وتمجيد الفن وتشجيع المثقفين والثقافة ، فبالإضافة إلى برامجها في صيانة مآثر فاس التاريخية، وترميم آثارها والحفاظ على معالمها عملت منذ نشأتها على إذكاء الروح الأدبية وتحفيز قرائح الشعراء، وتنشيط أقلام الكتاب لتحقيق مساهمة مدينة فاس في النهضة الأدبية المغربية ، وإعادة بناء الهوية الثقافية الأصيلة، عبر الندوات والمهرجانات والأمسيات التي أقامتها تكريمًا وتشجيعًا للموهوبين من رجال ونساء، من أحياء وأموات ، وما تزال تقدم الدعم موصولاً للتظاهرات الثقافية والعلمية التي تقام بمدينة فاس، وتنظم مباريات للشعراء والأدباء والشباب، بالإضافة إلى تظاهرات الموسيقى والمسرح والسينما، وعلى متن سفينة وحدة المغرب العربي التي انطلقت تمخر عباب الأبيض المتوسط لترسو بموانئ أقطار المغرب العربي، نظمت الجمعية ندوة حول ثقافة أقطار المغرب الكبير، حددت فيها معالم الثقافة والأدب والشعر والفن العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والمغرب العربي، ماضيًا وواقعًا وآفاقًا، فباسم هذه الجمعية الفتية أرحب بسموكم الكريم في أبهائها ، وأرحب بالمشاركين في عاصمة المغرب العلمية، وأتمنى لهم في هذا اللقاء مقامًا طيبًا ، ولهذا الاجتماع نجاحًا وتوفيقًا ، وأدعو الله بطول العمر وموصول الصحة والعافية واطراد التوفيق لراعي هذا اللقاء جلالة والدكم الحسن الثاني نصره الله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

كلمة معالي
الأستاذ محمد علال سيناصر
وزير الثقافة - المملكة المغربية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

مولاي صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، أصحاب السعادة، أيها السادة والسيدات:

إن وزارة الشؤون الثقافية في حكومة صاحب الجلالة نصره الله وأيده لتعتز بالثناء على هذا النهج الواضح الذي اتسمت به جائزة الشيخ «عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» إذ شجعت الشعر وأصحابه ورواده، ورسخت حبه والشغف به، واستنهضته وحفزت له. ولئن شرف جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله هذا الحفل برعايته السامية وقام ولي عهده الجليل صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد برئاسته الفعلية، فما في الأمر من عجب، فالدولة العلوية الشريفة احتضنت الشعر ورعت الشعراء منذ القدم، بل إن عددًا من أعلامها المنعمين ملوكًا وأمراء قالوا الشعر واستدلوا به، واتخذوه وسيلة ناجعة للدفاع عن مقدسات البلاد ومقومات العروبة والإسلام، مما أعطى للشعر في هذه البلاد جذورًا لا تفنى وأفنانًا لا تذبل ولا تبلى، فالشعر سيف في خدمة الأمجاد ، وجوهرة في طوق التاريخ، وهذا ما عبر عنه – عندنا بفاس – أبوالعباس بن الونان الملوكي الفاسي بين يدي السلطان سيدي محمد بن عبدالله، حيث ردد – مرارًا – هذا البيت:

والشعر للمجد نجاد سيفه
وللعلا كالعقد فوق العنق

والشعر منذ كان وهو جزء لا يتجزأ من الحضارة العربية قديمها وحديثها، فقد خدم القرآن ولغة القرآن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الشعر لحكمة، فإن التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي» وأوصى عمر بن الخطاب –

رضي الله عنه – أبا موسى الأشعري بأن يأمر بتعلم الشعر وحفظه والتعلق به، لأنه يدل على صواب الرأي ويعلم مكارم الأخلاق. وقد سار العديد من الشعراء المحدثين على هذا النهج، مجددين ما وجب تجديده، معبرين عن وجدانهم ووجدان معاصريهم بنفس الإيمان والصدق والقوة، ومنهم أبوالقاسم الشابي الذي اخترتموه كشعار لهذه الدورة، فكان أحسن اختيار، إذ إن أبا القاسم الشابي أصبح علمًا من أعلام المغرب العربي بل العالم العربي الحديث، حيث إنه نظم القريض مبكرًا، وداومه حتى آخر حياته وأعطاه صدى لا يصمت جعله تعبيرًا صادقًا يحق فيه قول الشاعر:

ليس هذا الشعر ما تروونه

إنها لقطع من كبدي

أوَ ليس أبوالقاسم الشابي هو القائل في وحدة الكون الشعرية ومضمونها:

ههنا ، في كل آن تمّحي

صور الدنيا وتبدو من جديد

وبودي هنا أن أشير إلى شاعرين مغربيين من نفس النَّفَس كان كثير من شعرهما متجاوبًا مع أشعار الشابي عبر الزمان والمكان، الشاعر الأول هو إدريس الجاي الفاسي مولدًا ومحتدًا، قال بمناسبة ذكرى وفاة أبي القاسم:

والشاعر الموهوب قيثار الدنا

هيهات يهدأ ذلك القيثار

وقال أيضًا وكأنه يخاطب حفلكم وشعراءه:

شوقي أمير الشعر قبلاً قالها

الناس أنتم أيها الشعراء

حسان أكرمه النبي بشعره

وكذاك يكرم بعضنا النبلاء

والثاني هو الشاعر المراكشي أبوبكر الجرموني، ولا تزال أشعاره – للأسف – مخبوءة. إن إنتاج الشعر في بلادنا يدل على أن الشعر العربي لم يعرف في الآونة الأخيرة أزمة حادة كما عرفها في بقاع أخرى خاصة في العالم الغربي، لأن الشعر العربي بقي

على طول القرون يربط حاضرنا بماضينا فيؤصل ثقافتنا ويغني إبداعنا، ويعيد إلى تلك الآثار الغابرة في نفوسنا جدتها ونضارتها من خلال التجربة والابتكارات الإنسانية المعاصرة وفي ذلك قيل:

مـــــاآثر ليس يبلي الدهر جـــــدتهــــا
مـــــا دام منا لهـــــا تجـــــديد آثار

وهذا الشعر متزامن مع الحضارة متداخل فيها، هو الذي تكرمونه اليوم وتشجعونه، وبذلك تساهمون أحسن مساهمة وأنجعها في نهضة آدابنا وفكرنا، لأنني واثق من أن مثل هذه الجوائز تكون وسيلة متكاملة للتعريف بالأدب وإنتاجاته، وبالخلق وإرهاصاته، وبالتالي فهي دعم للثقافة وامتداد ثمين لها، فالشكر كل الشكر لكم وجزاكم الله خيرًا وأكثر مثل هذه الأعمال التي ترسم الطريق وتمهدها إلى ثقافة عربية متجددة عبر الزمان والمكان، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

****

الـــــدورة الخامسة

«دورة أحمد مشاري العدواني»

٢٨ - ٣١ أكتوبر ١٩٩٦

أبوظبي / الإمارات العربية المتحدة

برعـــايـــة

المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

رئيس الدولة

وحضـــــور

معالي السيد خلفان الرومي

وزير الإعلام والثقافة

كلمـــة

الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)

رئيس المؤسســة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

ممثل صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان حفظه الله...

معالي وزير الاعلام والثقافة الأخ خلفان الرومي المحترم...

أصحاب السمو الشيوخ...

أصحاب المعالي وزراء الثقافة....

أساتذتي الكرام - إخواني وأخواتي الإعزاء.....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

كم أنا سعيد بهذا اللقاء العربي الكريم وبهذه التظاهرة الثقافية الكبيرة التي تصب في نهر الشعر العربي الرقراق، فننا المجيد الأول، وديوان آبائنا وأجدادنا الخالد، والذي نحن أحوج ما نكون الآن للاجتماع من أجله، والالتفاف حوله، بعدما طوحت بنا تصاريف الزمان، ففرقتنا.. ولم يبق لنا - من بين ما بقي - ما نعتز به ونتمسك إلا ثقافتنا العربية التي هي القاعدة المثلى والمرتكز لأية تنمية اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية ، والتي نعقد على تنميتها آمالنا بالالتقاء والتعاضد لننهض بأمتنا إلى ما تصبون إليه جميعكم.

نحن في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري لا نألو جهداً في وضع اللبنة التي ترفع صرح الثقافة كمثل مؤسسات الجوائز الزميلة التي قام على

(*) أقيم حفل افتتاح الدورة الخامسة للمؤسسة بمبنى المجمع الثقافي في مدينة أبوظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة بتاريخ ٢٨ أكتوبر ١٩٩٦م وبالتعاون مع المجمع الثقافي.

إنشائها شخصيات ثقافية مرموقة كجائزة الملك فيصل وجائزة الدكتورة سعاد الصباح وجائزة الشيخ عبدالله المبارك الصباح وجائزة سلطان علي العويس، ومؤسسة يماني الثقافية وغيرها من الجوائز العربية، التي سيكون لها الأثر الواضح بالنهوض بثقافتنا العربية إن شاء الله.

إن من أهم أهداف مؤسستنا هو التواصل والتقارب بين مثقفي هذه الأمة وشعرائها بالذات ، ولقاءاتنا خلال هذه الأيام الأربعة المباركة والسعيدة وهي بلاشك تحقيق لهذا الهدف السامي والنبيل والهام، خصوصاً وأن بيننا الآن وزراء الثقافة الكرام من الأردن والإمارات وموريتانيا وهو دليل اهتمام دولنا العربية بالمثقف العربي وثقافته وعلى وجه الخصوص الشعر العربي ، وهي تباشير خير لنهضة عربية طموحة إن شاء الله.

لقد قمنا بالدورات الماضية بإبراز الدور المتميز في مسيرة الشعر العربي لمحمود سامي البارودي ولأبي القاسم الشابي من خلال تسمية الدورتين الثالثة والرابعة للمؤسسة باسميهما وبالنتيجة طبع أعمالهما وعمل البحوث والدراسات حولهما، كما نقوم اليوم بإبراز دور شاعرنا أحمد مشاري العدواني الذي ما زالت بصماته الخيرة واضحة للعيان في مسيرة الثقافة العربية سواء داخل دولة الكويت أو خارجها للنصف الثاني من هذا القرن.

أيها الإخوة.. لقد عرفت المرحوم أحمد مشاري العدواني بالخمسينيات عندما كان مدرساً بثانوية الشويخ ، ثم عرفته أكثر بعدما عملت بدائرة المعارف أيضاً خلال الخمسينيات، فلقد كان رئيسي بالعمل ، ومن النوادر الجميلة، أن الكتاب الأول الذي طبع من أجل العدواني من بين الكتب التي صدرت عن هذه الدورة، وهو كتاب العدواني في عيون معاصريه، وفي البحث الأول منه يتحدث فيه المرحوم أحمد الشرباصي، وهذا الحديث أذيع من إذاعة الكويت عام ١٩٥٣ كما نشر في كتابه «أيام الكويت سنة ١٩٥٣» يقول الشرباصي: عندما طلب الشيخ عبدالمحسن البابطين يرحمه الله – وكان آنذاك رئيساً للقضاء ومدرساً بالمباركية – طلب من طلبته أن يحفظوا قصيدة «بانت سعاد» وكان ذلك سنة ١٩٣٩، جاء الطالب أحمد مشاري العدواني للشيخ عبدالمحسن وقال له: أنا لديّ قصيدة قلتها عن المولد النبوي الشريف.. فهل تأذن لي بإلقائها على الطلبة بدلاً

من قصيدة «بانت سعاد»، فطلب منه أن يقرأها عليه، فلما سمعها الشيخ عبدالمحسن ولاحظ ركاكتها قال له «يجدر بك أن تقرأ هذه القصيدة بالبيت وليس بالمدرسة» هذه كانت بدايات شاعرنا العدواني.. وإذا كانت هذه المقولة من عمي الشيخ عبدالمحسن البابطين هي المفجر الأول لأن يجود العدواني بشعره، فإن ما تقوم به مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري اليوم وبعد مرور سبعة وخمسين عاماً هو امتداد لتلك البداية، وتكريم له بعد أن أضحى ذا دور فعال في حركة الثقافة العربية في الكويت والخليج العربي بل وفي بلاد العرب أجمع.

لقد قامت المؤسسة بالعمل على إنجاز «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين» الذي وجد من الاستقبال من المثقفين العرب ما جعلنا جميعاً في هذه المؤسسة نشعر بالرضى التام والاطمئنان بأن مسيرة الشعر العربي ما زالت جذوتها حية ومستقرة، ولا يفوتني هنا أن أذكر بالتقدير والعرفان والامتنان احتفاء الإخوة وزراء الثقافة العرب جميعهم بهذا المولود العربي من خلال الحفلات والندوات التي أقيمت ببلادهم احتفاءً بتوزيع المعجم على الإخوة الشعراء تحت الرعاية الفضلى وعلى أرفع المستويات، ولقد قرر الاخوة في مجلس الأمناء بعد أن نفدت الطبعة الأولى من المعجم، قرروا البدء بالعمل على إنجاز الطبعة الثانية له ولاضافة أسماء الشعراء الذين لم يتسن لهم المشاركة بالطبعة الأولى، كما قرر أيضاً الإخوة أعضاء مجلس الأمناء البدء بالعمل لإنجاز معجم آخر وهو «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» وسيضم كل الشعراء الذين عاشوا خلال الفترة من سنة ١٨٠١ وحتى ٢٠٠٠، والذين لم يذكروا بالمعجم الحالي، لتكتمل الحلقات وليشكل هذان المعجمان الوثيقة العملية الوحيدة لمسيرة الشعر العربي بهذه الحقبة المهمة ، ولنقدم لجيلنا الحاضر ولأجيالنا القادمة ما أبدعه شعراء العرب بهذا العصر.

كما قرر مجلس الأمناء تسمية الدورة السادسة باسم «دورة الاخطل الصغير» وهو الشاعر العربي الكبير بشارة الخوري اللبناني المولد، ويسرني أن أبلغكم بأن تلك الدورة ستقام في أكتوبر سنة ١٩٩٨ بدمشق إن شاء الله(*).

(*) كان من المقرر إقامة الدورة في دمشق، لكنه تم بعد ذلك نقلها إلى بيروت حيث أقيمت.

أيها الأحبة الأعزاء.. يا ضمير أمتنا المتقد... إن الكويت تقف دائماً كشقيقاتها العربيات بصفكم ومعكم، فبصماتها بالمسيرة الثقافية العربية واضحة .. ونحن هنا نستصرخ ضمائركم النقية بالوقوف بجانبها إنسانياً لمطالبة النظام العراقي بالإفراج عن الأسرى الكويتيين والعرب الذين ما زالوا منذ أكثر من ست سنوات يعانون الأمرين بسجون ذلك النظام ظلمًا وعدوانا.

أيها السيدات والسادة.. باسمكم نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الوفير لحضرة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رئيس الدولة حفظه الله وراعي حفلنا هذا لتفضله برعاية هذه التظاهرة الثقافية العربية، والتي تدل دلالة بائنة على ما للثقافة والمثقفين من منزلة رفيعة في نفسه الكريمة، شاكرين الله تعالى على نجاح العملية التي أجريت لسموه منذ أسابيع، داعين المولى جلّت قدرته أن يسبغ عليه نعمة الصحة وأن يعيده للوطن بالسلامة والعافية ليكمل مسيرة الخير في كل الأرجاء.

كما يسرني باسمكم أن نشكر الإخوة في وزارة الإعلام الإماراتية على ما لقينا منهم من تعاون جم.. ولإخوتنا في المجمع الثقافي في أبوظبي المحبة والامتنان لروح التفاني بالتعاون لإنجاح هذا التجمع العربي الثقافي.

ويسعدني كثيراً كما يسعدكم أن نتقدم جميعاً بالتهنئة القلبية للشاعرة العربية نازك الملائكة، والناقد العربي صلاح فضل والشاعر العربي محمد محمد الشهاوي لحصولهم على جوائز الدورة الخامسة ، دورة أحمد مشاري العدواني.

نحن بلا شك في المؤسسة نفخر كثيرًا بالفائزين، ونقر بلا شك بأن الجوائز التي استحقوها عن جدارة لم تكن قيمتها بمادياتها ، وإنما قيمتها بالشهادة المعنوية الكبيرة التي منحت لهم من نخبة من علماء هذا العصر الذين هم أعضاء لجان التحكيم، متمنين لهم جميعاً الصحة والسعادة.

أما أنتم إخوتي فأتقدم اليكم باسم أعضاء مجلس أمناء المؤسسة وأنا من بينهم بالشكر والتقدير والعرفان معتزاً أشد الاعتزاز بحضوركم حفلنا هذا، ولمساندتكم الصادقة وتوجيهاتكم الدائمة والمستمرة والمفيدة والتي طالما كانت لنا حافزاً للمزيد من العطاء ممتنًا لما تجشمتم من متاعب السفر وعناء الوصول إلى هنا راجياً الله أن يمتعكم جميعاً بالصحة والسعادة وطول العمر.. والله يحفظكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

****

كلمة معالي السيد خلفان الرومي

وزير الإعلام والثقافة

دولة الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله العربي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

أصحاب المعالي، أصحاب السعادة،

أيها السيدات والسادة، ضيوفنا الكرام

يطيب لي أن أرحب بكم أجمل ترحيب في وطنكم دولة الإمارات العربية المتحدة، التي تفتح ذراعيها لكم محبة وتقديرا ، سعيدة بوجودكم كوكبة، مختارة من أرجاء الوطن العربي الكبير، الذي نباهي جميعاً بالانتماء إليه.

ويطيب لي ويسرني، أن أنقل اليكم تحية مخلصة ، وترحيباً واسعاً من قائدنا ورائدنا صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، رئيس الدولة حفظه الله ورعاه ، ومتعه بموفور الصحة والعافية، وأبقاه راعياً للشعر والشعراء راسماً على صفحة الوطن أجمل قصيدة ناطقة بالمجد والازدهار.

أيها الإخوة الأعزاء

لست أظن أن أمة من الأمم جديرة بالاحتفاء بالشعر والشعراء مثلما الأمة العربية، هذه الأمة العريقة التي كان الشعر ديوانها منذ أقدم الأزمان ، فهو لسانها، وهو فنها، وهو مستودع روحها، فكان لها فنّاً بديعاً، وكان لها تاريخاً مسجلاً، وكان لها سلاحاً قاطعاً وكان لها حياة نابضة، وها نحن اليوم نجتمع على مائدة الشعر، نتوحد فيه ويصنع فينا سبيكة منمنمة ، مطرزة بعطور العبقرية العربية، في واسع ديارها، ورائق مشاربها ، وشهد مبدعيها.

أيها الإخوة الأعزاء

دعوني باسمي وباسمكم وباسم شعراء هذه الأمة أن أحيي الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين لبادرته الطيبة الدفّاقة النسغ في عروق الشعر والشعراء ، اسمحوا لي أن أحييه وأحيي مساعديه على سعة أفقهم وحكيم توجهاتهم العربية الشاملة التي تنتقل بين أرجاء الوطن العربي الكبير ، تستاف من كل زهوره رحيقاً عربياً صافياً، مما يعزز الوجه العربي لهذه الجائزة، منطلقاً وأهدافًا ووسائل.

إن بلدكم الإمارات ، ليفتخر عالي الفخر بأن يضم بحنان ومحبة ، هذه الدورة الخامسة لهذه الجائزة الموقرة «دورة الشاعر أحمد مشاري العدواني» الشاعر المبدع المجدد، فالإمارات – وطنكم الفتي الصاعد – تحتفي بالشعر أيما احتفاء ، وللشاعر فيها منزلة لا تدانيها منزلة، وللشعر فيها إجلال لا يدانيه إجلال، ولها من هذا الفن رصيد كبير تمتلئ به الصدور والذواكر وتعطر بفوحه أجواء المجالس والدروب.

أيها الإخوة الأعزاء

لقد كان للشعر في أمتنا ، ومنذ القدم، الدور الرائد القيادي المرشد المبشر المتحمس لنبض الناس وهمومهم وقضاياهم، فهل تخلى الشعر في زمننا هذا عن دربه، وذهب هائماً في أنفاق العتمة ، والذات المنغلقة، والخصوصية المنعزلة؟.. أم أنه ما زال يلبس ملابسه العربية العريقة: انتماءً ووظيفة، إن الإجابة عندكم أيها السادة الكرام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

ملتقى

«محمد بن لعبون»

٢٧ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٧

دولة الكويت

برعـــايـــة وحضور

معالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية (آنذاك)

(سمو أمير البلاد حالياً)

كلمــة
الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)
رئيس المؤسسـة

باسمه تعالى والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

راعي الحفل معالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية

الإخوة الكرام ضيوف مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وملتقى ابن لعبون...

الإخوة الحضور جميعاً...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أحييكم أطيب تحية باسمي وباسم الإخوة أعضاء مجلس الأمناء والأمانة العامة للمؤسسة وكافة العاملين فيها، وأرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكركم على تجشمكم عناء السفر للمشاركة في هذا الملتقى. وأود باسمكم جميعاً أن أشكر معالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي تفضل مشكوراً بشمول هذا الملتقى برعايته الكريمة، ويطيب لي أن أنوه بدوره البارز ورعايته الدائمة لأنشطة وفعاليات الثقافة والآداب والفنون التي تقام على هذه الأرض الطيبة، من خلال مسؤوليته ومنذ سنوات طويلة عندما كان وزيراً للإعلام وأيضاً خلال كونه وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل بتأسيسه مركز الفنون الشعبية حيث أعيد الاعتبار للفنون كالعرضة والسامري والقلطة وغيرها.

(*) اقيم حفل افتتاح ملتقى محمد بن لعبون الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الإثنين ٢٧ أكتوبر ١٩٩٧م على مسرح المعاهد الخاصة بحولي في دولة الكويت.

معالي راعي الحفل..

ضيوفنا الكرام..

في وقت كانت الحاجة فيه ملحة لدعم الثقافة الوطنية والقومية ولتزايد الأعباء على الدولة في تقديم كافة الخدمات الأخرى والثقافة إحدى - إن لم تكن أهم - تلك الخدمات، كان لابد للقطاع الخاص من أن ينهض بدوره في دعم تلك الخدمات، والثقافة في المقدمة منها. وهكذا جاءت فكرة إنشاء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عام ١٩٨٩ وغيرها من المؤسسات الثقافية الأهلية متناغمة مع هذا الهدف الوطني النبيل، لترعى - قدر طاقتها - الثقافة الوطنية والقومية مركِّزة على الشعر - ديوان العرب - إبداعاً ومبدعين، وذلك للحفاظ على هذا التراث ودعم مبدعيه وانتشاله من واقع قد يكون فيه إضرار كبير بهذا الإبداع، نظراً لتسارع وتفاقم ضغوط الحياة العصرية على المبدعين من الشعراء.. ولم يقتصر اهتمام المؤسسة على الشعر كإبداع صرف، وإنما امتدت فروع الجائزة لتشمل مجالات نقد الشعر وأفضل ديوان ، وأفضل قصيدة.

وفي هذا السياق أقامت المؤسسة دوراتها الخمس بدءاً بدورتيها الأولى ثم الثانية في القاهرة، واعتباراً من الدورة الثالثة اتخذت المؤسسة قراراً بتسمية كل دورة باسم شاعر عربي من الرواد، وهكذا كانت الدورة الثالثة (دورة الشاعر محمود سامي البارودي) في القاهرة عام ١٩٩٢ والدورة الرابعة (دورة الشاعر أبوالقاسم الشابي) في فاس بالمغرب عام ١٩٩٤، والدورة الخامسة (دورة الشاعر أحمد مشاري العدواني) في أبوظبي عام ١٩٩٦، وستكون الدورة السادسة (دورة الشاعر الأخطل الصغير) في دمشق(*) وموعدها أكتوبر من عام ١٩٩٨ إن شاء الله.

معالي راعي الحفل.....

ضيوفنا الأعزاء......

عندما طرحنا الفكرة بإقامة هذا الملتقى عن الشعر النبطي كانت الآراء كثيرة ومتباينة وأحاط الجدل بالفكرة من كل ناحية، فمن المعلوم أن المؤسسة تُعنى بالشعر

(*) عقدت في بيروت عام ١٩٩٨.

الفصيح كسياسة مرسومة في صدر أهدافها، وإقامة ملتقى عن الشعر النبطي فيه من المحاذير بقدر ما فيه من الإغراءات.

وقد حسم مجلس أمناء المؤسسة القرار لصالح إقامة هذا الملتقى لأمرين غاية في الأهمية:

– الأمر الأول وهو هدف جليل في حد ذاته يتمثل في تسليط الأضواء على واقع حياتنا المعاشة في الفترة الماضية في هذه المنطقة من الوطن العربي الكبير، وأعني بها منطقة الخليج والجزيرة العربية، في جوانبها العديدة اجتماعيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً وبخاصة في الجانب الإبداعي ، ومن الأهمية بمكان معرفة أحداث ومسيرة تلك الفترة التي لم تأخذ حقها من البحث وتسليط الأضواء، فشعرنا النبطي يحكي تاريخنا .

– الأمر الثاني كان اختيارنا للشاعر الفنان المبدع محمد بن حمد بن لعبون المدلجي الوائلي ليكون موضوع هذا الملتقى وحامل اسمه، تحت شعار «الصدق يبقى والتصنف جهالة» وذلك لأن الشاعر محمد بن لعبون يعد من شعراء الطبقة الأولى من الشعراء النبط ومن فحولهم بل هو في المقدمة منهم، جمع الجزالة إلى الرقة، والحنين إلى الغزل، وأبدع فنوناً وألحاناً لا تزال تعرف باسمه «اللعبونيات» برغم مرور حوالي القرنين على ظهورها .

معالي راعي الحفل

ضيوفنا الأعزاء

إن اختيار الشاعر محمد بن لعبون موضوعاً لملتقانا هذا جاء كذلك من منطلق سيرة وإبداع الشاعر وثقافته الغنية التي استقاها مما وفره له والده الشيخ حمد بن لعبون حيث كان مولفاً بالفقه والتاريخ وكان أميناً لبيت مال سدير، فكانت مكتبته الواسعة تحت نظر هذا الشاب الطموح ثقافيّاً.

أما حياته التي بدأت في نجد وامتدت طويلاً في الزبير ووصولاً إلى البحرين ثم ألقى عصا الترحال وحتى الوفاة في الكويت، فإنها تمثل شكلاً من أشكال الوحدة المبكرة بين

أبناء وأقطار الخليج العربي، كما أن ابن لعبون والشعراء النبط والشعر النبطي، كل هذا يمثل جزءاً حيوياً وأساسياً من وجدان شعب الخليج الثقافي والإبداعي، وظاهرة تستحق الوقوف المطول عندها بالدراسة والبحث، حيث إن هذا النوع من الشعر كان يمثل جُلَّ الذاكرة الشعبية للمنطقة.

معالي راعي الحفل

ضيوفنا الكرام

لقد كان من دواعي سعادتنا بعد هذا كله ردود الفعل الإيجابية وذلك الحماس البالغ من الشعراء والمبدعين والأوساط الثقافية والأكاديمية ووسائل الإعلام لإقامة هذا الملتقى ، مما أكد لنا صحة وصواب فكرة الملتقى وموضوعه.

ومن أكبر دواعي اغتباطنا في هذا الصباح الجميل وجودكم بيننا راعيَ حفل كريماً وضيوفاً أعزاء ومدعوين كراماً فلكم جميعاً كل الشكر والتقدير.

كما يسعدني كثيراً أن أرحب باسمكم بأشقائنا شعراء الملحون والزجل والشعبي، وهي كلها مسميات تستظل تحت عبارة شعر النبط من الدول المغاربية ومصر واليمن وبلاد الشام، والذين تجشموا صعاب السفر وأتوا ليشاركوا إخواناً لهم صاغوا عواطفهم شعراً نبطياً بالجزيرة والخليج العربي، أرحب بهم ليستمعوا لشعر النبط هنا وليتأكدوا بأنفسهم بأن شعر النبط في الوطن العربي لا يختلف بعضه عن بعضه الآخر كثيراً.

وإنني بهذه المناسبة أناشدكم جميعاً يا شعراء النبط، بأن لا تنسوا إخواناً لكم ساقهم النظام العراقي منذ غزوه الغادر لدولة الكويت من الشوارع والمساجد كرهائن لديه، ما زالوا يذوقون أصناف العذاب الجسدي والعذاب النفسي منذ أكثر من سبع سنوات بسجونه المظلمة والرهيبة.

ولا يفوتني في ختام هذه الكلمة أن أشكر الأخ أمين عام المؤسسة الأستاذ عبدالعزيز السريع ومعاونيه وجهاز الأمانة العامة وكل العاملين في هذا الملتقى، لما

تجشموه من عناء العمل ومواصلة الليل بالنهار لإنجاز أعمال الملتقى ومطبوعاته، والسهر على راحة ضيوفنا ومدعوينا. لقد كان العمل شاقّاً عليهم نظراً لطبيعة إصدارات الشعر النبطي وخصوصيتها، وإنني أثمن جهودهم الطيبة.

معالي راعي الحفل

ضيوفنا الكرام

شكراً لكم جميعاً ونتمنى أن نحظى بلقائكم في الأنشطة القادمة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

كلمة معالي الشيخ/ صباح الأحمد الجابر الصباح
النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية
دولة الكويت

الإخوة الأعزاء

أصحاب السمو والسعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لعلها من أسعد اللحظات تلك التي تجمعنا في هذه الساعة المباركة بهذا العدد الكبير من الضيوف الكرام الذين نرحب بهم أشد الترحيب في بلدهم الثاني دولة الكويت، والذين جاءوا ليشاركونا احتفالاتنا في إحياء هذا الملتقى الشعري والثقافي المتميز «ملتقى ابن لعبون»، لما لهذا الملتقى من دلالات وارتباطات وثيقة بتراثنا وتقاليدنا العربية الأصيلة في الخليج والجزيرة العربية خاصة، وفي وطننا العربي الكبير عامة، حيث إن موروثاتنا الشعبية تكاد تكون واحدة، وربما متشابهة على امتداد الأرض العربية.

واسمحوا لي هنا أن أسجل كلمة شكر لمن أسهم في إحياء هذا الملتقى الشعري الأخ الفاضل/ عبدالعزيز سعود البابطين، لما بذله ويبذله دائماً من جهود خيّرة في سبيل إحياء التراث العربي أدباً وشعراً، فله منا جميعاً الثناء والتقدير.

أيها الحفل الكريم...

إن الثقافة العربية والإسلامية هي الوعاء المشترك الذي يجمع بين أبناء الوطن العربي الواحد، فالجميع يشكلون وحدة ثقافية متجانسة، ذات جذور ثقافية تسقى من معين لغة واحدة وتراث إسلامي خالد.

ولعلنا ونحن نحتفل معاً بافتتاح «ملتقى ابن لعبون» للشعر النبطي، نستذكر بكل فخر واعتزاز كبيرين، أولئك الشعراء النبطيين رجالاً ونساءً،الذين أثروا حياتنا وثقافتنا الشعبية بما جادت وأبدعت به قرائحهم من جميل الشعر الشعبي وأجزله في كل المجالات والفنون، حيث كانت أشعارهم بمثابة سجل مشرف لهذه المنطقة، دونت به أحداثها وأرّخت به أمجادها، فقد كان الشعر النبطي ولا يزال، يلعب دوره التاريخي في حفظ التراث الشعبي لهذه المنطقة عبر سنوات طويلة ومتصلة من العطاء دون توقف.

أيها الحفل الكريم..

ولعله من هنا تأتي أهمية هذا الملتقى الذي نحن على ثقة تامة بأن المشاركين فيه وبما يتمتعون به من علم وثقافة وسعة اطلاع، بفنون وآداب هذا النوع من الشعر، سوف يثرون بلاشك هذا الملتقى بحصيلة وافرة من المعلومات الهامة والدراسات القيمة، وبما يتيح مزيداً من الاهتمام الجماهيري بهذا النوع من تراثنا الشعبي، مؤكدين بهذا الشأن على دعم الدولة وعنايتها الأكيدة بهذا النوع من الشعر وفنونه، وتشجيعها لمثل هذه المبادرات والجهود التطوعية الخاصة في إحياء تراثنا الشعبي والمحافظة عليه، وبكل ما له صلة بموروثاتنا الأصيلة في الخليج والجزيرة العربية.

واسمحوا لي مرة أخرى بالترحيب بضيوفنا الكرام، متمنياً لهم طيب الإقامة بين أهلهم وذويهم، ومتطلعاً دائماً إلى لقاء دائم ومتصل بيننا في بلدهم الثاني دولة الكويت، التي يسعدها كثيراً احتضان هذه النخبة المتميزة من رجالات الفكر والأدب، مع خالص التمنيات لهذا الملتقى بالنجاح والتوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

الـــــدورة السادسة

«دورة الأخطل الصغير»

١٤ - ١٧ أكتوبر ١٩٩٨

بيروت / الجمهورية اللبنانية

برعـــايـــة وحضور

دولة الرئيس الشهيد المغفور له السيد رفيق الحريري

رئيس مجلس الوزراء

كلمـــة
الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)
رئيس المؤسسـة

دولة الأخ الرئيس رفيق الحريري، رئيس مجلس الوزراء راعي الحفل وفقه الله.

معالي الشيخ فوزي حبيش، وزير الثقافة والتعليم العالي في الجمهورية اللبنانية.

معالي الأستاذ يوسف السميط، وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دولة الكويت.

معالي الأستاذ محمد إبراهيم المطوع وزير شؤون مجلس الوزراء وزير الإعلام في دولة البحرين.

معالي الأستاذ غازي صلاح الدين، وزير الثقافة والإعلام في جمهورية السودان الديمقراطية.

معالي الأستاذ رفقي بامخرمة، وزير الثقافة والشباب في جيبوتي.

معالي الأستاذ أسلم ولد سيد المصطف وزير الثقافة والتوجيه الإسلامي في الجمهورية الإسلامية الموريتانية.

الإخوة الكرام ضيوفنا من بلاد ما وراء النهر من جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية.

أيها الإخوة، أيتها الأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد.

فاسمحوا لي أن أعبر عن دواعي سروري واعتزازي، واعتزاز مؤسستكم، «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» لأنها تحظى في كل دوراتها بحضوركم وحضور مميز لثلة كريمة من وزراء الثقافة العرب، مما يدل على بالغ عنايتهم بالثقافة العربية وحرصهم على حضور متابعاتها الجادة، وإنني إذ أرحب بكم وبهم أجمل ترحيب ضيوفاً كراماً في هذه الدورة وما سيليها - بإذن الله - من دورات، أحييكم وأشكر باسمكم جميعاً، وباسم المؤسسة، كافة أفراد أسرة شاعرنا العظيم بشارة عبدالله الخوري «الأخطل الصغير» الذين لم يدّخروا وسعاً في تذليل أية مصاعب أمام إقامة الدورة، فلهم تحيتنا جميعاً.

(*) أقيم حفل افتتاح الدورة الخامسة للمؤسسة بمبنى منظمة اليونسكو في بيروت/ الجمهورية اللبنانية بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٩٨م بالتعاون مع وزارة الثقافة اللبنانية.

ضيوفنا الكرام

يطيب لي، بل يسعدني كثيراً، أن أقف بينكم لأعبر لكم جميعاً باسم الإخوة أعضاء مجلس أمناء «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري»، وباسمي، عن بالغ شكرنا لدولة الرئيس رفيق الحريري على رعايته الكريمة لهذا الحفل الثقافي المميَّز بحضوركم الذي أشكركم عليه من الأعماق. كما يسرني أن أنقل إليكم تحيات أهلكم من دولة الكويت الذين يكنون لإخوتهم اللبنانيين وللشعب العربي في جميع أقطاره كل المحبة والتقدير.

أيها الحفل الكريم

يسعدني كثيراً أن أرفع أسمى آيات الشكر والتقدير لمقام اللبناني الأول فخامة الرئيس إلياس الهراوي رئيس الجمهورية اللبنانية ولحكومة لبنان وشعبه المعطاء.

أعزاءنا ضيوف الأخطل الصغير

لقد أنشئت «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» عام ١٩٨٩ في القاهرة ولا يزال مقرها الرئيسي هناك، جاعلة التواصل الدائم والقوي بين مثقفي هذه الأمة من أهم أهدافها، وعلى الأخص بين شعرائها الذين هم ضميرها المتألق، عاملة، بكل ما أوتيت من طاقة، لتحريك الساحة الشعرية حتى يستعيد الشعر ألقه وفعله في النفس العربية. ونحن مجلس أمناء هذه المؤسسة، والعاملين فيها، وعلى كل الأصعدة، سائرون بثبات وعزيمة لتحقيق أهدافها.

أيها الإخوة الأعزاء

أحيي باسمكم جميعاً شاعر دورتنا، الشاعر المبدع والناثر المتفرد والصحفي العملاق بشارة عبدالله الخوري، «الأخطل الصغير» الذي اختاره مجلس أمناء المؤسسة، بحماس، رائداً وشاعراً لتحمل هذه الدورة اسمه. ولم يكن السبب منحصراً فقط في إبداعات الأخطل الصغير وأصالتها، ولا في ملكته الشعرية المبدعة وريادته الصحفية الخلاقة، وتعدد مواهبه الإبداعية، حيث بلغ شأوا عظيماً في الشعر أهّله لأن يؤمَّر على الشعراء العرب عام ١٩٦١ خليفة لأمير الشعراء الأول أحمد شوقي، نعم كان

كل ذلك في الحسبان، لكنه لم يكن كل شيء، لقد كان في مقدمة أسباب اختيار بشارة عبدالله الخوري «الأخطل الصغير» شاعراً لهذه الدورة تاريخه النضالي المجيد في سبيل وطنه وشعبه وأمته، وذلك الزخم العروبي المتعاظم في نفس الأخطل وأدبه، ودعوته الدائمة والمخلصة والداعمة للوفاق القومي وتمسكه الشديد بالإخاء والوحدة الوطنية والقومية.

يقول الأخطل الصغير:

يثـــــربٌ والقـــــدس منذ احـــــتلمـــــا
كـــعـــبـــتــــانا وهوى العــــرب هوانا
شـــــرفٌ للمـــــوت أن نطعـــــمـــــه
أنفـــســـاً جـــبـــارة تأبى الهـــوانا
غـــــذّت الأحــــداث منّا أنفـــــســـــاً
لم يزدْها العنـف إلا عنفـــــــوانا

إن من يقرأ إبداعات الأخطل الصغير الشعرية منها والنثرية، يراه في كل حرف منها عملاقاً عربياً قومياً، لا يمكن لأحد أن يفرق بين ما كتبه بشارة الخوري عن نبي الإسلام ورموزه ومقدساته، وبين ما كتبه أشد المخلصين لهذه الرموز والمقدسات. لنستمع إليه يقول نثراً في «المولد السعيد»:

«يضحك ثغر غدٍ عن تذكار مولد الرسول العربي الكريم وسيكون للعيد بهجته، وسيكون له جماله ورونقه. إن للرسول – وهو في عنفوان الرسالة – من المعجزات ما يقف دونه الفكر صاغراً. ولكن له في حداثته ما تصغر عنده عظمة العظيم ويبطل عنده سحر الساحر». الأخطل الصغير ابن هذا البلد المعطاء امتدت رؤاه وتسامى نظره من لبنان إلى سائر أنحاء الوطن العربي، بل وإلى الشرق كله. يتسلح في كل هذا بقلب عامر بالحب، وبتأييده للحق، فهو القائل:

أنا في شـــمـــال الحب قلبٌ خـــافقٌ
وعلى يمين الحق طيـــــرٌ شـــــاد
غنيت للشـــرق الجـــريح وفي يدي
مـــا في سـمـــاء الشرق من أمـــجـــاد

لقد كانت كتابات الأخطل الصغير الخالدة في محاربة النعرات الطائفية، وفي الدعوة إلى الإخاء الوطني والقومي تتصدر صفحات «برقه» الأولى على مدى ربع قرنٍ من الزمان، لم يثنه في ذلك تعاقب العهود السياسية ولا عسف العثمانيين أو حكم الانتداب الفرنسي أو غيره، بل كان رائده الأوحد - وفي كل العهود - الوطن والأمة.

أيها الإخوة الكرام

إن من أكبر دواعي الاعتزاز والسعادة أن أحيي باسمكم جميعاً الكوكبة الجديدة من الإخوة المبدعين الفائزين بجوائز المؤسسة لهذه الدورة: الشاعر الكبير سميح القاسم والناقد المميز الدكتور إدريس بلمليح، والشاعرين الرائدين شوقي بغدادي ومحمد القيسي وشاعرنا الواعد جاسم الصحيّح، ويهمني أن أشيد بمستوى ما قدموه من إبداع هو الأكبر والأهم، وما الجوائز المقدمة لأي منهم إلا تعبير بسيط ورمزي عن امتنان المؤسسة والوسط الثقافي العربي لعطائهم الأكبر، الذي يشكل محوراً مهماً من محاور الدورة بشكل عام، وأتمنى لهم عطاءً مستمراً وإبداعاً متألقاً على الدوام في صرح الشعر العربي الكبير.

أيها الإخوة الأعزاء

إن «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» مؤسسة ثقافية عربية محضة لا تعنى بالسياسة إلا بما يحفظ تراث هذه الأمة وأرضها ومقدساتها، وهي تؤكد على التلاحم وتحرص على أن يكون للشعر مكانته الريادية، وأن يستعيد الشعراء مكانتهم التي كانوا يتميزون بها في عهود الازدهار، وأن تزدهي اللغة العربية بجمالياتها المعهودة من خلال الشعر المنتمي إلى تراث هذه الأمة وذاكرتها الثقافية.

ولعلنا جميعاً نؤكد عدم الانسياق وراء التغريب والإغراق في العاميات المحلية المتفشية بشكل حاد في كثير من المرافق الإعلامية، بدعوى التحضر أو التمدن أو التبسيط وفي ذلك نوع من المفارقة المثيرة للأسف، فالمفترض أن تكون قمة التمدن والتحضر في التمسك بالسلامة اللغوية مدعومة بالخصوصية الثقافية، فكثير من الدول

وصلت قمة التقدم العلمي الحديث ولم تتفارق وسلامة لغتها وخصوصيتها الثقافية، واليابان خير مثال على ذلك، وكمثال آخر على الاعتزاز باللغة القومية نذكر الشاعر الداغستاني رسول حمزاتوف فهو لم ينظم إبداعه إلا بلغة قومه الأساسية (اللغة الأفارية) والتي لا يتكلمها أكثر من ٢٠٠ ألف إنسان، ومع ذلك وبرغم قلة المتكلمين بها فإنه لم يغرد خارج سربه، بل تمسك بلغته، ونظم بها إبداعاته التي سمعها العالم كله، وما ذلك إلا لأنه مبدع أصيل يعتز بلغته وبنفسه وبموهبته، فكان أن احترمه العالم كله عندما تمسك بذلك فأصّل إبداعاته بلسان قومه.

ومما يدعو إلى الأسف أن المتجول في المدن والبلدات يلحظ بكثافة أن معظم اللافتات غاب عنها الحرف العربي، ومكتوبة بحروف أجنبية فقط، وكأننا لسنا في بلد بقي طوال عهوده وتاريخه يكافح بحماس ومنهجية علمية معروفة، عن اللغة العربية وآدابها من شعر ونثر، وعن علومها من نحوٍ وصرف وبلاغة ومعاجم وغيرها، كما نلحظ بأسف أيضاً أن بعض المحطات الفضائية تغرق إغراقاً مفرطاً في العامية في تسمية بعض برامجها، وفي الحديث والحوار فيها، مما يجعلها، في واقع الأمر، وكأنها محطات فضائية مخصصة لفئة معينة أو للهجة عامية محددة، وفي أبسط الأحوال فإن هذا يفوّت عليها عالميتها ويحد من انتشارها، ويخرجها من رحابة الفضاء الى عالم ضيق ومغلق.

أيها الحفل الكريم

بكل معاني الوفاء وفي سياق احترام لغتنا وتراثنا ننطلق إلى تحية العلماء الأفذاذ أعمدة النهضة الأدبية الحديثة وبُناتها الذين تصدوا للدفاع عن اللغة العربية ضد كل التيارات المعادية في أقطار الوطن العربي كافة من المحيط إلى الخليج وفي المهجر وفي لبنان العرب والنهضة على وجه الخصوص، فكانوا وبحق قادة الفكر ونوابغ الأدب وسدنة هذه اللغة الشريفة، وحُماة الكلمة، منهم الأديب والشاعر والطابع والناشر والصحفي وراسم الحرف والخطاط، وكل من له اعتناء مخلص بالحرف وبالكلمة، ممن تعرفونهم وتعرفهم الأوساط الثقافية العربية والعالمية، ومنهم على سبيل المثال وليس

الحصر: ناصيف وإبراهيم اليازجي، بطرس وسليمان وعبدالله ووديع البستاني، أحمد فارس الشدياق، جرجي زيدان، الآباء اليسوعيون، وغيرُهم كثيرون، وكان كثير من الريادات الأدبية والصحفية والطباعية تبدأ من لبنان - البوابة الكبرى للوطن العربي - لتنتشر نوراً يعم أرجاء هذا الوطن، فإلى أرواحهم تحيتُنا وتقديرنا.

ضيوفنا الأعزاء..

لقد كان وراء إقامة هذه الندوة جهود كبيرة ومضنية نهض بها أعضاء اللجنة التنظيمية العليا للدورة وهم الأساتذة عبدالعزيز السريع وجورج جرداق وسليمان الشطي ونعيم اليافي وياسين الأيوبي، فلهم بالغ الشكر والتقدير، وكان للدكتورة سهام أبو جودة جهود مميزة في توفير مواد إصدارات هذه الدورة، فلها شكرنا وتقديرنا على هذه الجهود.

أما جنود هذه الدورة المجهولون، فهم جهاز الأمانة العامة للمؤسسة الذين كانوا يعملون بدأب وصمت لإنجاز هذه الإصدارات، وإعداد الترتيبات والتنظيم لإقامة هذه الدورة، فبارك الله كل جهودهم.

كما لا يفوتني أن أنوِّه بجهود معالي وزير الثقافة والتعليم العالي الشيخ فوزي حبيش وأركان وزارته، وكذلك الأستاذ الأخ رامز ضاهر المستشار القانوني للوزير لتذليل كل الصعاب أمامنا.

وكذلك الجهات التي أتاحت لنا مقراتها لإقامة أنشطة هذه الدورة من أمسيات شعرية وغنائية، ومنها قاعة حسام الحريري التابعة لمؤسسة الحريري في صيدا وقاعة الرابطة الثقافية بمدينة طرابلس، أما هذه القاعة التي شهدت حفل مبايعة الأخطل الصغير عام ١٩٦١ كما شهدت حفل ذكرى وفاته عام ١٩٦٩، وتشهد اليوم حفلنا هذا الذي يزدان بحضوركم، فإنها تقع في رحاب وزارة التربية الوطنية، واسمحوا لي أن أحيي معالي وزيرها الصديق جان عبيد وأشكره على ذلك.

أيها الإخوة الكرام.. شعراء ومثقفي أمتنا العربية

لقد نوهت في بداية كلمتي هذه بأن «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» مؤسسة ثقافية محضة لا تعنى بالسياسة إلا بما يحفظ تراث الأمة

وأرضها ومقدساتها، وأنا أؤكد ذلك، ولكن الإنسان العربي - كما يفترض أن يكون - هو من أهم مقدسات هذه الأمة، بل هو صلب وجودها إذا شاءت أن تنهض، لذا فإنني أشير إلى المأساة الإنسانية الكبيرة التي حدثت منذ ثماني سنوات ولا تزال تؤرق كل عربي يحترم نفسه، إنها مأساة مزدوجة أصابت الطفل الكويتي الذي غاب عنه والده، ولا يزال الآباء والأمهات المختطفون رهائن في سجون النظام العراقي. لقد ساقتهم قوات الغزو عنوةً في آخر أسبوع لاحتلالهم بلادنا العزيزة من الشوارع والمساجد دون ذنب اقترفوه، مما سبب معاناةً شديدة للأطفال الكويتيين وللكثير من أسرهم.

وإنني من منبر هذا الحفل الكريم، الذي يضم نخبة متميزة من خيرة مثقفي هذه الأمة، أناشدكم جميعاً أن تناصروا الحق الإنساني لهؤلاء المرتهنين وأُسرهم وأطفالهم، وتنشروا ذلك في كل ما تطاله أيديكم من وسائل الإعلام، حتى لا تستمر هذه المأساة الإنسانية أكثر من ذلك. هذه المأساة السوداء، عندما يسجل التاريخ - بازدراء - أسْر عربي لعربي دون وجه حق ودون وازع من ضمير أو رادع من خلق.

أيها الحفل الكريم

أشكر دولة الرئيس رفيق الحريري وأشكركم ثانية آملاً لكم متابعة ممتعة ومشاركة فاعلة، سائلاً المولى القدير أن يتيح لنا جميعاً لقاءات عديدة على الخير والمحبة، من منطلق خدمة الشعب العربي وبناء أمتنا الخالدة وثقافتها الأصيلة... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

****

كلمة الأستاذ فوزي حبيش

وزير الثقافة/ الجمهورية اللبنانية

دولة راعي هذا الاحتفال السيد الرئيس رفيق الحريري..
أصحاب المعالي والسعادة والسيادة أهل الأدب والشعر والفن والعلم والثقافة..
أيها الحفل الكريم..

يسعدني أن أستهل كلمتي، بتقديم الشكر العميق إلى دولة رئيس مجلس الوزراء السيد رفيق الحريري الذي تلطّف، فأصرَّ، رغم مشاغله، على الحضور شخصيّاً لافتتاح هذا المهرجان الذي يرعاه، تكريماً منه لذكرى شاعر لبنان والعروبة الأخطل الصغير بشارة عبدالله الخوري، وتقديراً للبادرة الطيبة التي تقدمها مؤسسة جائزة الشاعر الكويتي الكبير الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري والنقد الأدبي.

ويسعدني أيضاً أن أرحب بحضوركم جميعاً هذا المهرجان الأدبي، وأخصُّ بالترحيب أصحاب المعالي الوزراء العرب الذين تحملوا مشقة الانتقال إلى بيروت، وهي بادرة نحتسبها لهم تقديراً للبنان ولدوره الثقافي في محيطه العربي.

كما يسعدني أن يكون بيننا اليوم رئيس مجلس أمناء مؤسسة الجائزة، شاعر الكويت وأديبها الكبير الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين، الذي تجاوز العطاء الشعري السخي، إلى عطاء سخي آخر، عن طريق تخصيصه الجوائز النقدية، عاماً بعد عام، للمبدعين العرب، دون تمييز بين أقطارهم وانتماءاتهم، حتى إذا استقرَّت دورة هذا العام على اسم «الأخطل الصغير»، وجدنا فيها تكريماً للبنان واللبنانيين، من خلال هذا الشاعر الذي ملأ الأسماع أنغاماً شجية، وأفعم القلوب بالراقيات الصافيات من المشاعر والأحاسيس.

دولة الرئيس، أيها الحفل الكريم...

لقد كان لبنان والعرب أوفى الأوفياء للأخطل الصغير، سواء من خلال المهرجانات التكريمية التي انعقدت في حياته، وخصوصاً هنا في قصر الأونيسكو وفي الجامعة الأميركية، أو من خلال المؤلفات الخاصة بالأخطل الصغير التي عالجت سيرته وشعره، وأذكر منها رسالة الدكتورة سهام أبو جودة عام ١٩٧٠، وكتاب الدكتور محمد مندور الصادر عام ١٩٧٠ في مصر، والأستاذ إيليا الحاوي عام ١٩٧٢، والأستاذ عبداللطيف شرارة عام ١٩٨٢، والدكتور مفيد قميحة عام ١٩٨٢، والدكتور عبدالمجيد الحر عام ١٩٩٧، وها هي مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين تتحفنا بتراث الشاعر ورسائله ومقالاته في جريدته «البرق»، وبما دبَّجته الأقلام العربية عن الشاعر في حياته وبعد وفاته.

لقد كانت العروبة تسري في أنفاس أبا «عبدالله» سريان الدم في عروقه، ويكفي للدلالة على انتمائه القومي العربي أنه لما قامت في الحجاز دولة عربية لها مليكها أو خليفتها، أطلق تلك القصيدة الشهيرة التي كانت أولى القصائد الموقعة باسم «الأخطل الصغير» والتي كرّس فيها القول المأثور «الدين لله والوطن للجميع» وكان مما قاله فيها:

لقد رَجَعَتْ خِلافَتُنا إلينا
وكان رُجوعُها نصرًا مبينا
أيَغْصِبُنا الخلافةَ غاصبوها
وفي البلدِ الأمينِ بنو أبينا
أتركيٌّ وفينا هاشميٌّ دمي دَمُهُ
ويبقى الدين دينا

والأخطل الصغير ككلِّ حرٍّ ولِهٍ بوطنه أحب لبنان حبّاً لا مزيد عليه، ألم يخاطب لبنان بقوله:

لبنانُ يا وَلَهَ البيانِ أذاكرٌ
أم لستَ تذكرُ نجدتي وكفاحي

قـــبَّلْتُ باســـمِكَ كلَّ جـــرحٍ ســـائلٍ

وركَـــزْتُ بندكَ عـــاليًـــا في السَّـــاحِ

وكان هاجس الإخاء العربي أمله الكبير في الانصهار والتوحد والتحرر، أليس الأخطل الصغير هو القائل في العناق الأخوي بين لبنان وسورية:

يــا رُبَــا لا تــتـــــركـي ورْ

دًا ولا تُبـــقي أقـــاحـــا

مـــشــتِ الشـــامُ إلى لُـبْـ

ـنانَ شــوقًـــا والتـــيـــاحـــا

فـــتــســـاوينا جـــهـــادًا

وتـآخـــينـا ســـلاحـــا

وكانت قضية الحق المغتصب في فلسطين قضية الأخطل الصغير، الذي ما انفك يهيب بالنخوة العربية إلى مؤازرة أبطال المقاومة الباسلة في نضالهم ضد الوجود الصهيوني الغاصب:

قُمْ إلى الأبطالِ نلمس جُـــرْحَـــهم

لمســـةً تســـبحُ بالطِّيبِ يدانا

قُمْ نَجُـعْ يومًـــا من العـــمـــر لهم

هَبْـهُ صومَ الفصحِ هَبْـهُ رمضانا

إنَّمـــا الحقُّ الذي مـــاتوا له

حـــقُّنا، نمشي إليـــهِ أين كـــانا

وإنِّي لأبخس الشاعر حقه، إن أنا عَبَرْتُ عبورًا بغزليّاته ووجدانياته الغنائية الرائعة التي ترددت على كل شفةٍ ولسان، وهل أرقى وأنقى من قول الأخطل الصغير:

الصِّـــبـــا والجـــمـــالُ مُلْكُ يَدَيْكِ

أَيُّ تاجٍ أعـــزُّ من تاجـــيـــك

وهل أجمل وأكمل من قوله:

جَـــــــفْـنُـهُ عـلَّـم الــغـــــــزل

ومــن الـحـبِّ مـــــــــا قـــــــــتـل

وبعد فإن الإبداع الشعري للأخطل الصغير لا يُحبس في هذا القمقم الصغير، وحسبنا أننا حملنا من أنفاسه أقباسًا تومئ إلى الضوء في متاهات الطريق، وإني من على منبر الأخطل الصغير في هذا المهرجان الإبداعي الكبير، أعلن كوزير للثقافة والتعليم العالي عن ثلاث قناعات أرجو ألا أكون بها قد جانبت نهج الثقافة المستقيم، أولى هذه القناعات: أن الثقافة سوف تبقى الوسيلة الوثيقة بين أبناء هذه الأمة العربية الخالدة، التي لم تسقط يومًا من حسابها أهمية الثقافة والمثقفين في التوجيه والتقويم والقيادة المستنيرة.

وإذا كانت المقولة القديمة تذهب إلى أن السياسة ما دخلت شيئًا ألا أفسدته، فإن مقولتي لكم وبالفم الملآن، إن الثقافة ما دخلت شيئًا إلا أصلحته وقوَّمت ما يداخله من اعوجاج أو انحراف، والأهم عندي أن تتناغم الثقافة والسياسة في وحدة كيان لا يمسه تشرذم ولا تطاوله تجزئه، وإلا أحاطت بالأوطان محاذير ومخاطر تجعلها إلى زوال، وقناعتي الثانية: أن النقد، كل نقد ينبغي أن يكون نقد الأحرار والنبلاء، وأن يتعالى بتجرده وموضوعيته عن الذاتية الممزوجة بالحسابات الضيقة والمصالح الآنية العابرة، ذلك أن الخلاف في الرأي دليل صحة وعافية، وأن الناقد ينبغي أن يرى إلى الوجه المظلم ما في الحياة من وجوه مضيئة. وقناعتي الثالثة: ونحن في حضرة الشعر العربي المعاصر، أن الحداثة الميمونة لا ينبغي أن تكون حربًا على الأصالة المباركة وأن هذا الموكب الأدبي المتصل نثرًا وشعرًا يجب أن يبقى مرتبطًا بجذوره العميقة، وأن يفيء إلى ظلال دوحة التراث الوارفة، ونحن لسنا مع هذا الأسلوب في الصياغة الشعرية ضد أسلوبٍ آخر، ولكننا مع المنطق والذوق السليم، القائلين بأن لكل فن أصولاً وقواعد يتجلى من خلالها كل إبداعٍ شعري، ومتى خرج الشعر عن عموده الأصيل وعن إيقاعاته الغنائية الجميلة وعن قوافيه المتعانقة عناق الدانات واللآلئ في العقد السليم، خرج عن الإبداع إلى الفوضى وعجز عن إقناع نفسه قبل إقناع سواه بإنه باقٍ في تاريخ التراث الأدبي.

دولة الرئيس، أيها الحفل الكريم...

لعل لي عذري عندكم على هذه الإطالة، بأنني فعلاً لم أجد الوقت الكافي للإيجاز شكرًا لكم، شكرًا لكم يا دولة الرئيس عنايتكم بالثقافة والمثقفين ورعايتكم الكريمة لمهرجان الإبداع الشعري العربي ينعقد على أرض لبنان. إنَّنا نؤكد ترحيبنا بزملائنا الوزراء العرب وبالضيوف الأشقاء، ونشكر لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بادرتها الطيبة، ونهنئ الفائزين بما لهم من إبداعاتٍ تشرف الثقافة العربية المعاصرة، عشتم، عاش الشعر، عاشت الثقافة، وعاش لبنان.

****

كلمة راعي الحفل
الرئيس الشهيد رفيق الحريري

«الشعر ديوان العرب».. مقولة وضعها عبدالعزيز البابطين نصب عينيه عندما أقام مؤسسته لتكريم وتقدير الإبداع الشعري العربي، لكن أهمية هذه المبادرة تعود إلى كونها فريدة في مجالها، مع أن سائر البلاد العربية، ومؤسسات الجامعة العربية، أنشأت جوائز في شتى المجالات العلمية والأدبية والإعلامية.

أما المعنى الكبير للجائزة فيكمن في المنزلة التي كانت للشعر وما تزال في الروح العربي، والتاريخ العربي، والتراث العربي، والحلم العربي. فأعلام الشعراء هم في ذاكرتنا جنباً إلى جنب مع أعلام القادة وكبار العلماء. بل إن شعراء، كالمتنبي قديماً، أو كأحمد شوقي والجواهري حديثاً، عبَّروا عمّا في النفس العربية بأساليب تجعل من هذا الفن قرين العربية والعروبة منذ كانتا، وإلى آماد طويلة آتية.

وقد شاء مؤسس الجائزة، وشاءت لجنتها، تكريم لبنان بهذه الدورة، من خلال عقدها فيه وتسميتها باسم شاعره المبدع الأخطل الصغير، وليس ذلك بكثير على لبنان ولا على أخطل العرب الثاني.

نتذكر الأخطل الصغير فنتذكر مكانة الشعر العربي في لبنان، ونتذكر إمارة الشعر العربي التي اختاره لها كبار شعراء العرب بعد أحمد شوقي. لكننا نتذكر اليوم أيضاً - بفضل مؤسسة البابطين - إسهام اللبنانيين البارز في النهوض الثقافي العربي، وفي التأسيس للثقافة العربية الحديثة والمعاصرة.

أيها الإخوة العرب

أيها الحفل الكريم

إن لبنان الذي تحبون.. لبنان الشعر والثقافة والإبداع.. لبنان الجامعة والمنتدى والصحيفة والكتاب.. لبنان الحريات.. يعود إليكم كما عدتم إليه.

ولبنان يطمح، بفضل وعي أبنائه وطموحهم، أن يسهم في حاضر العرب ومستقبلهم كما أسهم في ماضيهم القريب.

إنه يطمح للمشاركة بدور بارز في نهضة العرب الثانية، كما شارك في نهضتهم الأولى....

تأتون إلى بيروت فتجدونها تغصُّ بدور النشر التي تعرض من ثمرات مطابعها ثلث الانتاج الثقافي العربي، بما في ذلك أكثر النتاج الشعري العربي.

وتزورون عواصم الوطن العربي الكبرى فتجدون لبنان حاضراً بقوة في معارضها للكتاب، وفي صحفها ومسارحها وجامعاتها، وسائر مناحي الحياة الثقافية فيها.

هكذا تشمخ العروبة في لبنان، ويبقى لبنان ويزدهر بها.

لقد استعرضت معجم الشعراء العرب الذي أصدرته مؤسسة البابطين الزاهرة فشهدت عن كثب الإنجاز الإبداعي العربي في هذا البلد.

وبهذه القدرة على الإنجاز وعلى الإبداع، وبمساعدة الأشقاء العرب، أمكن تجاوز المحنة والانصراف إلى البناء والإعمار الاجتماعي والثقافي والإنساني.

تحية للأخطل الصغير ولكل شعراء لبنان وأدبائه.

تحية لعبد العزيز البابطين ومؤسسته التي كرَّمت لبنان بتكريم الأخطل الصغير.

تحية لبيروت موئل العرب والعروبة والشعر العربي.

عاشت بيروت، عشتم، وعاش لبنان.

****

ملتــقــى

«سعدي الشيرازي»

٣ - ٥ يوليـو ٢٠٠٠

طهران / شيراز

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

برعـــايـــة وحضور

فخامة الدكتور سيد محمد خاتمي

رئيس الجمهورية

كلمة

الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)

رئيس المؤسسة

صاحبَ الفخامة حجّةَ الإسلام والمسلمين الدكتور سيد محمد خاتمي رئيسَ الجمهورية الإسلامية الإيرانية حفظه الله.

أصحابَ المعالي الوزراء وأعضاءَ مجلس الشورى الموقرين.

الشعراء والأدباء وأساتذة الجامعات.

ضيوفَنا الكرام.

أيها الإخوةُ والأخوات.

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

اسمحوا لي بالنيابة عن زملائي أعضاء مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وبالأصالة عن نفسي، أن أرفع أسمى عبارات الإجلال والتقدير إلى مقام آية الله سيد علي الخامنئي مرشد الثورة الإسلامية حفظه الله، كما أتقدم ببالغ الشكر وعظيم الامتنان إلى فخامة الرئيس لتفضّله بشمول هذا الملتقى برعايته الكريمة، معطياً المثال، المرةَ تِلْوَ الأخرى على إيمانه، بأن الثقافةَ هي الوسيلةُ الأمثلُ للحوار بين الحضارات والتآلف والتقارب بين الشعوب، وبأنها من أهم وسائل التنمية.

كما نتقدم بالشكر لجميع ضيوفنا الكرام من خارج إيران وداخلها، الذين تجشموا عناءَ السفر من أقطارهم لحضور هذا الملتقى.

(*) أقيم حفل افتتاح ملتقى سعدي الشيرازي بقاعة مؤتمر القمة الإسلامي بطهران يوم الإثنين ٣ يوليو ٢٠٠٠م. بالتعاون مع رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بطهران.

أيُها الحفلُ الكريم

لقد أُنْشِئتْ «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» عام ١٩٨٩، جاعلةً التواصلَ الدائمَ والقويَّ بين مثقفي هذه الأمة، من أهم أهدافها، وعلى الأخص بين شعرائها الذين هم ضميرها النابض، عاملةً بكل إمكاناتها، لتحريك الساحة الشعرية ليستعيد الشعر مكانته في النفوس. وحتى تُجْمِعَ الأمّة على شيءٍ مشترك، يقلُّ فيه الاختلاف إلى أدنى درجاته، إن لم نَقُلْ يتمُّ الاتفاق عليه بإجماعٍ كامل.

إخـوتَنـا الأعزاء

إن «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» مؤسسةٌ ثقافيةٌ محضة، لا تعنيها السياسةُ إلا بمقدار ما يحفظُ للأمة أرضَها ومقدساتِها وتُراثَها. وهي تؤكدُ على التلاحم، وتنبذُ التفرقةَ بين أبناء الأمة، وتحرصُ على أن يكون للشعر مكانتُه الرياديّة، وأن يستعيدَ الشعراءُ مكانتَهم العتيدةَ التي كانوا يتميزون بها في عهودِ ازدهارِ الحضارةِ الإسلامية، وأن تبقى للّغةِ العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، جمالياتُها المعهودة، من خلال الشعر المنتمي إلى تراث هذه الأمة وذاكرتِها الثقافية.

لقد رأت المؤسسةُ أنَّ دورَها سيتنامى، وإسهاماتِها ستُثرى، من خلال اهتمامها بالإبداعات الأكثر تداخلاً مع الشعر العربي على مَرِّ التاريخ، ألا وهي إبداعاتُ الشعر باللغة الفارسية.

من هنا، وبرغبةٍ كريمةٍ من بعض الإخوة في الجانبين، وبإجماعٍ كاملٍ من مجلس أمناء المؤسسة، جاءت مبادرتُها بإقامة «ملتقى سعدي الشيرازي» في طهران، لإغناءِ أدائها وإكسابه بُعْداً حضارياً مُضافاً، وإحياءِ وشائج التُّراث العربي مع جاره تراث الأمَّةِ الإيرانية، عَبْرَ مراحل الزمن المتعاقبة.

وقد كان اختيارُ سعدي الشيرازي مِحْوراً لهذا الملتقى مقصوداً، حيث أشار بذلك سماحةُ آيةِ الله الشيخ محمد علي التسخيري، جزاه الله خيراً، باعتبار سعدي الشيرازي شاعراً يتجسد فيه بشكلٍ فائق، التمازجُ والتلاقحُ بين الثقافتين الشقيقتين، ولارتباط حياته فصولاً بإيران والوطن العربي، وإلمامِه بالمخزون الثقافي للغتين بكُلِّ مقوماته، ونَظْمِهِ الشِّعرَ بالفارسية وبالعربية، فأصبح بحياته ونتاجه رمزاً للتآلف والانصهار بين شعبين وأمتين،

كانتا العمادين الأساسيين للحضارة الإسلامية، ورُسُلاً لها إلى العالم بأسره، وثقافتين وأدبين من أروعِ وأنبلِ ما أنتج الفكرُ الإنساني. وهو إلى ذلك عالمٌ فقيه، ورجلُ دينٍ جليل.

ولكي يحققَ هذا الملتقى أهدافَه النبيلة، رأت المؤسسة أنَّ من واجبها الإسهامَ في إحياء وتقوية وشائجِ الصلّةِ الخلاّقة التي أغنتْ النتاجَ الأدبي لدى الطرفين، ابتداءً بالثقافة، والشعرُ منها بشكلٍ خاص، لما يمثلُه من وجدانٍ فرديٍ وجمعي، وباعتباره من أنجع الوسائل للتقارب بين الشعوب ذاتِ الحضاراتِ العريقة.

أيها الإخوةُ والأخوات

إن الشِّعرَ ليس ترفاً كما قد يتراءى للبعض في هذا العصر المتسارع في كل شيء، وإنما هو قيمةٌ فكريةٌ رائدةٌ ومتقدمة، فالشاعرُ رائدُ قومه، يرى أبْعَدَ مما يَرَوْن، ويستَشِفُّ من مستقبل أمته بإلهامه الإبداعيِّ ما لا يستشفُّهُ الآخرون.

ولكي يتعرَّفَ القراء في إيران العزيزة إلى جارهم الأقرب، - الوطن العربي - ومواطنيه، وكذلك ليتعرف القراءُ العربُ إلى ثقافة إيران العريقة، كلَّفت المؤسسةُ عدداً من الأساتذة الجامعيين من إيران وبعض الأقطار العربية، باختيار قصائدَ لشعراء إيرانيين وعرب، يمثلون مختلف عصور الشعر العربي والفارسي، ونقلها إلى اللغة الأخرى نثراً، أو شعراً كلّما تيّسر ذلك. وبانتقاء مختاراتٍ من شعر سعدي الشيرازي ونقلِها بالتبادل بين اللغتين الفارسية والعربية. وستكون هذه الإصداراتُ بين أيديكم هديةً متواضعةً من المؤسسة بمناسبة إقامة هذا الملتقى، نرجو أن تجدوا فيها ما يفيدُ ويمتع.

ضيوفَنا الكرام...

لقد كان وراء إقامة هذا الملتقى جهودٌ كبيرةٌ ومضنية، لا يحيطُ بها إلا مَنْ كابدها، ويسعدني أن أنوِّهَ بما بذلته وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي من جهودٍ كبيرة، وعلى رأسها وزيرُها الجليل الدكتور سيد عطاء الله مهاجراني ونائبُه الأستاذ أحمد مسجد جامعي، وأركانُ الوزارة الذين سَعَوْا بكلِّ طاقتِهم لتذليل كلِّ الصِّعاب أمامَنا.

كذلك يسرني أن أحيّي الإخوة القائمين على رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية الذين كانوا مثالاً للإيثار والتعاون، خلال مراحل إعداد ترتيبات هذا الملتقى وحتى

اللحظة،، وفي مقدمتهم سماحةُ رئيسِ الرابطة آيةُ الله الشيخ محمد علي التسخيري ووكيلُ الرابطة حجةُ الإسلام والمسلمين الشيخ محمد سعيد النعماني والدكتور محسن خليجي والدكتور أميري والأستاذ أمير موسوي وغيرهم. ولا يفوتُني أن أحيّي الجهودَ المخلصةَ للّجانِ العلمية في طهران والقاهرة وبيروت وعمان.

كما يسعدني أن أثني على جهود أعضاء اللجنة العليا المنظمة للدورة، وجهاز الأمانة العامة للمؤسسة ممثلاً بالأستاذ عبدالعزيز السريع ومعاونيه، الذين حملوا أعباء الإعداد المتواصل دون كلل، فلهم بالغُ الشكر والتقدير.

أيها الإخوةُ الأعزاء.. نخبةَ شعراء الأمة وصفوةَ مثقفيها

لقد نوّهتُ في بداية كلمتي بأن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، مؤسسةٌ ثقافيةٌ محضة، لا تُعنى بالسياسة إلا بما يحفظُ تراثَ الأمة الإسلامية وأرضَها ومقدساتِها، وأنا أؤكد على ذلك، ولكن الإنسان ينبغي أن يكون من أهم مقدسات هذه الأمة، بل هو صلبُ وجودها إذا شاءتْ أن تلحقَ بركب التطور والتقدم، لذا اسمحوا لي أن أشيرَ إلى مأساةِ أسرى الكويت المرتهنين، في سجون النظام العراقي.

وإنني أناشدُكم جميعاً أن تناصروا هؤلاء المظلومين، عملاً بحق الأُخوّةِ الإسلامية ونداء الضمائر الحية، وبحقهم الإنساني وحق أطفالهم وأُسَرهِم، وأن تنشروا ذلك في كل ما تطاله أيديكم من وسائل الإعلام، لتكون كلمةَ حقٍّ عند سلطانٍ جائر، – وذلك أضعف الإيمان – حتى لا تستمرَّ مأساتُهم السوداءُ إلى ما لا نهاية.

أيها الحفلُ الكريم

أشكركم ثانيةً، آملاً لكم متابعةً ممتعةً ومشاركةً فاعلة، سائلاً المولى العليَّ القدير، أن يتيحَ لنا جميعاً لقاءاتٍ عديدةً على الخير والمحبة، من منطلق خدمة مصالح أمتنا الخالدة، وثقافتها الأصيلة. **﴿وقُلْ اعملوا فسيرى اللّهُ عملَكُمْ ورسولُه والمؤمنون﴾** صدق اللّهُ العظيم... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

****

كلمة فخامة الدكتور سيد محمد خاتمي

رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية

السلام على العلماء والأدباء الكرام المجتمعين لإحياء ذكرى الشاعر الإيراني المسلم الشهير سعدي الشيرازي، وأقدم شكري الخالص لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري التي مهدت السبيل لعقد هذا الاجتماع.

إن الاحتفاء بسعدي، هو احتفاء بالثقافة، والنبوغ، والأدب، والفن، والأخلاق، وإن حضوركم أيها الكرام يدل من جهة على تكريم هذا الجمع للثقافة والفضيلة، ويكشف من جهة أخرى عن حاجة الإنسان المعاصر لإبقاء شعلة العلم والأخلاق والأدب وهاجة ومنيرة.

إن حضور هذا الجمع الكريم في إحياء ذكرى سعدي بعد حوالي سبعة قرون من حياته الثقافية، يكشف قبل كل شيء عن: أن البقاء في مضمار العلاقات الثقافية العالمية، لا يستلزم الذهاب وراء التقاليد الثقافية القومية والإقليمية فحسب، بل إن الاستفادة الكاملة والمطلوبة من التقاليد هي التي تضفي الاعتبار على نصٍّ ما، وبعبارة أخرى، ما لم يرتبط الإنتاج الفني في تركيبة ذكية ماهرة بالتقاليد الثقافية لبيئته، فإنه لا ينال جدارة ولا عولمة، كالذي نجده اليوم، وبعد مرور سبعة قرون على عصر سعدي، أن «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في الكويت»، تقوم بمبارة لتكريم هذا الشاعر والأديب الإيراني.

إن التراث المعنوي الذي خلّفه سعدي في الثقافة الإيرانية والعالمية، هو مزيج من جميع المكتسبات الطيبة والعقلانية التي كان العقل الجمعي البشري في ذلك العصر قد توصل إليها، فقد كانت الهند وإيران والعالم العربي وشمال أفريقيا هي المجال الواسع

الذي طوته أفكار سعدي، فاقتطف من كل بستان زهرة حتى أوجد (گلستان) حديقة ورود متعددة الألوان والعطور، لا يزال الكثيرون يشتاقون لأريجها الفواح، أما سياحة سعدي ورحلاته في العالم الذي عاصره، فلم تكن مجرد مشهدة التجارب البشرية، بل إن من الخصائص الممتازة لنهج هذا الشيخ المنفتح على العالم، هو مشاهدة الدنيا بعين البصيرة والتدبر، واكتساب الدروس من ذلك، وبكلمة، باستطاعتنا اعتبار أفكار وآراء سعدي نموذجًا قيّمًا من المكتسبات الفكرية التي استفادت إلى حد الاكتفاء، من تراث حضارة البشرية، دون أن تبقى أسيرة منطقة معينة، حيث استفادت عن طريق الحوار والتحقيق من الحضارات المختلفة أيضًا. وفي جو كان يطفح بعمليات القتل والنهب، حيث كانت الأغلبية قد لجأت إلى الصمت وتجنب (مخالفة رأي السلطان) لكي لا تخاطر بمصيرها. تحدث سعدي مع الحكام بلغة أدبية قلّما نجد غيره قد تحدث بهذا الأسلوب في مجال الثقافة الإيرانية، فقد لام (تقلب الطباع) عند الحكام بكلام لاذع، وسجل حضوره الحميم والمعرفي في مختلف مجالات الحياة الإنسانية بهدف اكتشاف المعنوية والحقيقة والجمال والخير، وفي الوقت الذي لم يتخل عن الشكل والظاهر، فإنه عمل على إبراز المضمون المعنوي بأحسن الوجوه.

إن سعدي يحمل مرآة لا تعكس فقط صورة عصره في نتاجه الأدبي، بل وتعكس بمعرفة عميقة ودقيقة صورة كاملة عن الإنسان بحيث يستطيع الجميع، سواء الغني والفقير، العارف أو العامي أن يرى صورته في مرآة كلامه، وأن يزين أخلاقه وصفاته، قوله وفعله جمالاً وكمالاً، بالاستفادة من جمال تعاليمه وعظاته. فلو كانت صحائفه الأدبية تتلقف في عصره – كما يقول هو – وكأنها صحائف الذهب، ولو كان المغنون الصينيون في عهد قريب من عصره يتغنون بأشعاره – كما يحكي ابن بطوطة – فلا يزال الاهتمام متواصلاً بنتاجات سعدي الأدبية في عصرنا الحاضر أيضًا.

إن سعدي قدّم عرضًا فنيّاً عن حياة الإنسان في عصره، إلا أن هذا العرض ليس مجرد تقرير بسيط عن الحياة الاجتماعية لإنسان هذه الديار، بل هو تعبير متألم تزينه اللطائف والدقائق الفنية. إن راوي الفن والحياة، وبالاعتماد على ذوقه الفني السليم

والشجاع عرض تمثيلاً ساخنًا وحيّاً وحقيقيّاً عن الدنيا وعجائبها، دنيا واقعية ومحسوسة، وليست خيالية ومجردة وبعيدة المنال. إن تجارب الحياة المتنوعة، والتتلمذ على يد كبار عصره، وطبعه الناقد والوقاد، جعلت سعدي، وكأنه مصداق لذلك المثقف الذي - حسب تعبيره - قد عاش في الحياة مرتين، نهل في المرة الأولى علوم عصره، وجمع في المرة الثانية بين مجموع هذه العلوم وبين تجارب وواقعيات الحياة، فأضفى على الحياة الواقعية من الكرامة والحرمة ما يليق بشأنها.

إن هذا الأديب، صاحب الكلام العذب، صوّر بدقة ومهارة العالم الواقعي في عصره، إن لهجته العذبة، والتنويرية في الوقت نفسه، تسخر من معايب ومفاسد المجتمع البشري، وتعتبر هذه اللهجة في مجموعة التراث الثقافي للشرق، نادرة وقيّمة، ولهذا السبب فقد احتل سعدي مكانةً خاصةً في ذاكرة التاريخ وفي المجتمع الحاضر، قلَّما يمكن مقارنته بغيره.

ولو أننا نجد أن نغمة سعدي الساخرة، تعكس دويّاً ناعمًا في قلب كل إنسان باحث عن الجمال والحقيقة، فلأن كلمات هذا الشاعر الكبير، هي صدى العشق والمحبة والتحرر والرغبة في الأهداف الإنسانية الرفيعة، يقول سعدي في بيت من أشعاره:

إنني الطير الناطق الذي ستدفن صورتي في التراب

إلا أن الأنغام المعنوية تتصاعد من كتابي (گلستان)

إن ما يجعل سعدي مطمح اهتمام الخاص والعام عبر قرون، علاوة على ما يتمتع به من القيم الفنية والبلاغية، هو أن كلامه العميق والغني يحظى بالسيولة والتعبير بحيث يستطيع كل قارئ أن يستفيد منه بدرجة وعيه وفهمه، وأن كلماته الجميلة تلقي الحلاوة في قلب كل إنسان، وحقّاً هذا هو حد الخطاب الجميل.

إن شهرة سعدي، تنبع - إضافة على دقة وعمق معاني كلماته - من لغته الفاخرة وحديثه الشجاع الذي استحوذ ولا يزال يستحوذ على القلوب.

إن مقدرته الفنية الباهرة تكمن في أنه لم يتخلَّ عن الجوانب الفنية للكلمة، كما أنه لم يضح بالمضمون والمفهوم فيلجأ إلى التكلف والتصنع، ونلمس هذا الخصوصية بوضوح

في شعره كما في نثره أيضًا. إن تاريخنا الأدبي المشرق يعرف الكثير من الشعراء والأدباء الكبار، إلا أن سعدي يتميز من بين كل هؤلاء الكبار والنوابغ بأنه خلق إنتاجات فنية باهرة في مجالي الشعر والنثر معًا، ولهذا فإن صيت كلماته لفَّ الزمان والمكان، وأحدث ضجة في العالم.

ولم يكن سعدي غارقًا في العوالم العرفانية والماورائية بدرجة تنسيه عالم الناسوت والمادة، كما لم يكن مفتونًا ومبهورًا بهذه الدنيا بحيث ينسى السلوك في عالم اللاهوت والمعنوية. إن اللاهوت والناسوت، والملكوت، والسماء والأرض، تندمج في كلامه بروابط وثيقة بحيث لا يمكن وضع خط فاصل بينها، وهنا يجدر بنا أن نردد شعر سعدي:

تقيم القيامة بلهجتك العذبة يا سعدي

بحيث لا يستطيع الببغاء في عصرك أن يقول كلمة حلوة

إن إنسان سعدي، هو إنسان في متناول اليد، محسوس وواقعي، هو هذا الذي يعيش على الكرة الأرضية، ويتحلى بالإيثار وينتج، ويصنع الأعاجيب، ويحب الخير ويكره الشر، ولكنه في الوقت نفسه يسوِّد صفحة الزمن بالتخريب، والنهب، والقتل، والحيلة، والمكيدة، إن قصة هذا الإنسان، ليست قصة عصر خاص وجيل معين إنها طبيعة بني آدم بكل خصائصه، ولهذا السبب فإن إنسان العصر الحاضر يتعايش أيضًا مع آثار سعدي، ويتعلم منها نقاطًا بديعة وجميلة، وربما لو لم يتحدث سعدي بأية كلمة سوى هذه الأبيات الشعرية، لكفت جميع المهتمين بمصير البشرية والهندسة الاجتماعية، أن يذكروه باعتباره معلّم الحكمة العملية:

كلّما دار الزمان ويدور

فإن العاقل لا يرغب في هذه الدنيا

وإذا اهتمت الشاهنامات بنقل حكايات رستم وإسفنديار، فلكي يعرف أصحاب الملك أن الدنيا مليئة بذكريات السابقين، إن كلمات سعدي، بينما تعلم الإنسان كيف يعيش وكيف يستفيد من مواهب الحياة، تعلمه في الوقت نفسه دروس التوحيد ومعرفة الله، وتسوقه نحو الكمال المعنوي ونحو أجمل اللحظات العرفانية، وعندما تندمج كل هذه

المفاهيم بحرارة العشق، فإنها تكسب درجة من العذوبة والجمال لا نستطيع أن نجدها إلا في كلمات سعدي.

« يا سعدي! إن كلماتك تنبع عن حرارة العشق، وليس عن الألفاظ الجميلة وليس كل واحد ينتج هذا الكلام.. فالعود غير المحترق ليست له أية رائحة ».

ورغم أن سعدي نابغة كبير، إلا أننا يجب أن لا نغفل عن أنه نشأ في أحضان الثقافة والحضارة الإسلامية الإيرانية، وهو أحد دعاة هذه الثقافة والحضارة، وإن الاحتفاء به في أرجاء العالم يدل على أن هذه الحضارة وهذه الثقافة لم تكن حية وغنية في العصور السابقة فحسب، بل إنها تستطيع حتى في يومنا المعاصر وبعد تشذيبها وتجديدها، أن تحلِّق كالسابق، وأن تقدم رسالات قيّمة للإنسان المفتقر للمعنوية والمعرفة والتحرر، كما أن علاقة كبار المفكرين والكتاب والشعراء في الغرب بآثار سعدي منذ القدم وحتى يومنا هذا، واستئناس بعض مشاهير الثقافة والحضارة العربية مثل: لافونتين، هوجو، فولتير، بلزاك، وغيرهم بأشعار وكلمات هذا الشاعر الإيراني الكبير، شاهد على أنه حتى في العصر الحاضر، وفي مجال حوار الحضارات، يستطيع الشيخ الشيرازي الكريم، أن يستحوذ – باعتباره أحد المتحدثين باسم الحضارة الإيرانية الإسلامية – على قلوب الكثير من مشاهير عالم الفكر والأدب.

إن العالم الذي يرسم سعدي صورته في بستانه، هو عالم الإيمان بالحقيقة والمحبة والزهد والنور، وهذا هو العالم المنشود لكل إنسان، والذي يزرع في قلوب المشتاقين والآملين، رغبة في العمل على صنع عالم أفضل وأكثر إنسانية، ومن هنا – وكما يعبِّر سعدي – فإن الواله حينما يذهب من المدرسة إلى (الخانقاه) فهو في الواقع يطلب الخير والسعادة للمجتمع البشري، ذلك لأن المتحدث ينقذ بساطه من أمواج حوادث الدهر، بينما يسعى هذا لكي ينقذ الغرقى، وبعبارة أخرى، فإن اجتهاد سعدي ليس لكي يصنع عالمًا فردياً أفضل، بل هو مجهود جمعي لكي ينال الإنسان هدفه المنشود.

إن المفكر المثقف اليوم يستطيع أيضًا أن يقتدي بسعدي، في أن يفتح في فكره وكلامه صفحة للتحدث عن العدل والإحسان، التحمل والمداراة، التواضع والتربية، ومحبة

الإنسان والتحرر، لكي يدعو عالم الطمع والصراع الحالي إلى الهدوء والتحلي بالفضيلة والعدل والمروءة، وأن يقرأ هذه الأنشودة الخالدة:

وإنني أعشق العالم كله لأن العالم كلّه منه

إن مرض الرياء والتظاهر يستحوذ على نفوس المجتمع البشري منذ قرون، وقد أصيب المجتمع الإيراني بذلك أيضًا إلى حدٍ ما. إن التناقض بين القول والعمل في سلوكنا، يجعل الثقة العامة في مواجهة الخطر، وأساسًا فإن هذا المرض هو نتيجة الاستبداد الذي يسجل حضوره دائمًا في الشرق بشكل متهور ووحشي، وقد وقف سعدي، هذا الشيخ المنفتح على العالم، وهذا الأديب الصادق، في وجه هذا البلاء.

إنه متدين، إلا أن تمسكه بالدين لا يتحول إلى ذريعه لايذاء الآخرين، لا يسمح له بظلم الإنسان، وهو رؤوف مع الجميع إلا مع المؤذي والظالم، بحيث يرد الإساءة بالإحسان، حقّاً، أليست هذه التعاليم هي دليل قيم للإنسان المعاصر الذي يعيش في أجواء العنف وسوء الظن وانعدام الأمن؟ وأليست الحقيقة التي يبحث عنها سعدي، هي نفس المنشود الضائع في عصرنا الحاضر؟.

إن البحث عن الخصائص والقيم الأدبية لنتاجات سعدي يتطلب مجالاً أوسع، وإنني أدع هذا البحث للعلماء الحاضرين في هذا الاجتماع، وبأمل التوفيق للجميع أختم كلامي بشعر سعدي القائل:

يا سعدي، ليس هناك أعنب من كلامك، فهو تحفة العصر لأهل المعرفة

ونعم لبسانك الطيب الذي أقام هذه الضجة في الدنيا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

****

الــــــدورة السابعة

«دورة أبي فراس الحمداني والأمير عبد القادر الجزائري»

٣١ أكتوبر - ٣ نوفمبر ٢٠٠٠

الجزائر / الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

برعـــايـــة وحضور

فخامة السيد عبد العزيز بوتفليقة

رئيس الجمهورية

كلمــــة

الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)

رئيس المؤسســة

بسم الله وبه نستعين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وصحبه أجمعين

فـخـامــة الرئيس الأخ الكريم عـبـدالعـزيز بوتفليـقـة رئيس الجـمـهورية الجـزائرية الديمقراطية الشعبية حفظه الله.

سعادة رئيس مجلس الأمة.

سعادة رئيس مجلس الوزراء.

أصحاب المعالي الوزراء.

إخواني وأخواتي مفكري وأدباء وشعراء العرب

أيها الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

أود في مطلع كلمتي أن أنقل إليكم مـودة ومـحبة إخوتكم بدولة الكويت واعتزازهم الشديد بكم، كما يسعدني أن أوجه الشكر الفائق لفخامة الرئيس الذي شرفنا برعايته وحضوره حفل افتتاح الدورة السابعة لمؤسستنا على الرغم من مسؤولياته الكبيرة – ونشكره على حسن استضافة هذه الدورة، كما نتقدم بالامتنان لكل من آزرنا في تسهيل دروبنا بوجوه وضيئة وأيادٍ ممدودة بالعون لنا، وشكراً لهذا البلد الكريم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، وشكراً لأدبائه وشعرائه وعموم مفكريه الذين التفوا حولنا كما تلتف الأكمام بأوراق الزهرة ليمنحونا بالإضافة إلى ودهم الصافي، ذوب عقولهم ونفوسهم، والشكر موصول لكم أيها الضيوف الكرام الذين تجشمتم متاعب السفر ومن بلاد بعيدة.

(*) أقيم حفل افتتاح الدورة السادسة للمؤسسة في قصر الأمم بنادي الصنوبر في الجزائر العاصمة بتاريخ ٣١ أكتوبر ٢٠٠٠م. وبالتعاون مع وزارة الثقافة والاتصال واتحاد الكتّاب الجزائريين.

عندما فكرنا في اختيار مكان لدورة تحمل اسم بطل تاريخي وشاعر كبير في حجم أبي فراس الحمداني لم يكن مصادفة أن تكون الجزائر هي هذا الاختيار فالجزائر منذ وطئتها أقدام المستعمر في القرن التاسع عشر لم تعرف إلا طريقاً واحداً هو طريق الشهادة، ولم تتمسك إلا بحقيقة وحيدة «اطلبوا الموت توهبْ لكم الحياة»، وأكاد أجزم انه لا يوجد حفنه تراب في هذا البلد المعطاء لم تضمخ بدم شهيد، وكأني بالشاعر الكبير عمر أبي ريشة إذ يتحدث عن بلاد الشام كان يتحدث أيضاً عن الجزائر إذ يقول:

لنْ تَرَيْ حَفْنةَ رملٍ فوقَها
لم تُعَطَّرْ بِدِما حُرٍّ أَبِي

لقد حَقَّقت الجزائر حريتها في ساح المعارك لا على طاولة المفاوضات وليس هناك أصدق لغة من هذا المداد المتفجِّر الذي يهزأ بحكمة المتفرجين، فأمام حرية الوطن تسقط كل أنصاف الحلول، ولا يبقى إلا الحلّ الذي ارتآه أبوفراس قبل أكثر من ألف عام:

«لنا الصدرُ دونَ العالمينَ أو القبْرُ»

وإذا كنا في هذه الدورة قد انتقلنا من شعراء الحاضر إلى شعراء الماضي، فليس ذلك ابتعاداً عن الواقع المعيش، بل هو انغماس فيه إلى العمق، فالأمم عندما تُطوّقها المحن تزداد تشبّثاً بجذورها تأكيداً للهوية، واستمداداً للقوة المعنوية التي بها وحدها تتجاوز كل المعادلات الباردة والحسابات الرقمية الخاسرة، وعندما عدنا إلى الماضي البعيد الحافل بجحافل من الشعراء وقرأناه بعيون الحاضر، الحاضر المأزوم لواقع عربي متخلِّف ومُفتَّت، واقع يواجه عدواً استيطانيّاً مسنوداً من قوى الهيمنة العالمية يهدف إلى اقتلاعنا من الأرض وتغيير الهوية، كان أبو فراس هو الشاعر الذي يلبي حاجات واقعنا الراهن، ويمتلك الردّ على التحدي الذي يواجهنا، وكان المقابل لأبي فراس في التاريخ الجزائري المعاصر هو الأمير عبدالقادر الجزائري، فكلٌّ من الأميرين

هو حلقة في سلسلة واحدة ممتدة في عمق التراث العربي، هدفها واحد الحفاظ على الهوية العربية المستقلة لهذه الأرض المقدسة، الأرض المنفتحة على السماء وعلى كل بقاع الأرض لتحقيق العدل والإخاء.

واجه كلاهما قوة عظمى تسعى إلى نفي الوجود العربي وطمس الهوية القومية ، الدولة البيزنطية وامتدادها الحديث الإمبراطورية الفرنسية، ولم تكن القوى متكافئة، وكان الواقع العربي في الدولة الحمدانية والجزائرية وفي الدول العربية الأخرى مُفتَّتًا ومتخلِّفاً، ولم يكن السؤال أمام عدوان سافر على الوجود والهوية يخضع لحساب المنطق والتجارة، بل كان هناك خيار واحد هو المواجهة المسلحة بكل ما هو متوافر. دخل أبوفراس المعركة تحت قيادة سيف الدولة وهو ما يزال في باكورة شبابه ودفع من دمه ثمناً لهذا الخيار، ودفع سنوات من عمره أسيراً لدى العدو، ولم تنحنِ قامته أمام جبروت العدو، ولا مبالاة القيادات العربية وتقاعس الأصدقاء. وقاد الأمير عبدالقادر الجزائر في معركة ضارية ضد قوة عظمى وبالوسائل القليلة المتاحة، وسط المؤامرات، وبذل كل ما في وسعه حتى انتهى أسيراً لدى فرنسا ثم منفياً في الدولة العثمانية.

أيها الإخوة

عندما أنظر في وجوه الحاضرين أشعر بسعادة غامرة، فقد ضَمَّت هذه القاعة مثقفين جاءوا من أقصى صحراء موريتانيا، إلى مثقفين جاءوا من أقصى سواحل عُمان، ومن مدينة الحمداني حلب إلى بحر العرب توافد أدباء وشعراء ومثقفون من مختلف البلاد العربية، يشدهم لسان واحد، هو اللغة العربية المقدسة، ويجمعهم هدف واحد هو الصعود بالشعر العربي والثقافة العربية إلى الحد الأقصى، وإذا كانت السياسة قد فرَّقتنا، فإننا وجدنا في المؤسسة أن الثقافة هي مدخلنا إلى توحيد العرب من خلال توحيد أدبائهم وشعرائهم والعمل معاً من أجل تحقيق إنجازات ملموسة لنهضة الشعر والأدب العربيين. إن هدف المؤسسة الرئيس هو الالتفاف على الصراع السياسي الذي مزّق العرب، والدخول من باب الوحدة الثقافية من أجل إعادة اصطفاف العرب في مواجهة تحديات العصر.

فخامة الرئيس أيها الأخوات والإخوة الكرام..

وهكذا ترون أن اللغة العربية هي القاسم المشترك الأعظم الذي يوحد أبناء أمتنا ويلتفون حوله في كلٍّ الظروف وأن واجبنا جميعاً مسؤولين ومواطنين الحفاظ عليه بكل ما أوتينا من طاقة كلٌّ من موقعه وكلٌّ حسب مسؤوليته، ولنجعل هذا عهداً علينا وميثاقاً **﴿إن العهد كان مسؤولا﴾**. لقد ارتكز الشعراء إلى وحدة العرب من خلال اللغة قديماً وحديثاً، وهذا أحمد شوقي في قصيدته عن دمشق يقول :

ويجمعُنا إذا اختلفتْ بلادُ

بيانٌ غيرُ مختلفٍ ونطقُ

وإذا كنّا نؤمن بحرية الشعر،، فإننا نؤمن أيضاً بأن الشعر التزام طوعي بالهموم والآمال الجَمْعية، فالشاعر العظيم هو المرآة الصافية الصادقة التي تعكس على صفحتها كل ألوان الطيف لأبناء الأمة والشاعر العظيم هو الشاعر الذي يعكس الهم القومي الأكبر الذي تعاني منه الأمة وتناضل من أجل التغلب عليه وإزالته، وأصدق تعبير عما نقول هو نداء المؤسسة الذي وجهته لشعراء الأمة للمشاركة في إصدار ديوان الشهيد (محمد الدرة). لقد تفاعل الإخوة الشعراء مع هذا النداء وأثبتوا كما هو العهد بهم دائماً أنهم ضمير الأمة الحي ولسانها الناطق بالحق، ويكفي أن أشير هنا إلى أن المؤسسة قد تسلّمت في أيام قليلة أكثر من سبعمائة قصيدة ملبية لنداء المؤسسة ومساهمة في إصدار هذا الديوان مع أن آخر موعد لاستلام القصائد هو نهاية شهر نوفمبر فلهم منا كل الإجلال والتقدير.

فخامة الرئيس...

يسعدني في ختام كلمتي أن أُنَوِّه بذكرى عزيزة على العرب جميعاً تحلّ غداً، وهي ذكرى انطلاق الثورة الجزائرية، تلك الثورة التي قدّم فيها الشعب الجزائري خيرة أبنائه ليثبت بسيل من الدماء أن الجزائر حرة، وهناك على الطرف الآخر من وطننا العربي شعب صغير ما يزال يقاتل ويدفع ثمناً باهظاً من أطفاله وشبابه ضد قوة عنصرية يملؤها الصلف والغرور ويدعمها كل الحقد التاريخي، وكلّ مطامع الهيمنة الغربية.

فباسم أولئك الأطفال الأبطال الذين يمثلهم اليوم معنا بروحه الشهيد محمد الدرة الذي سنحتفي به باسمهم جميعاً، أيها الشعراء أيها الإخوة والأخوات أستصرخكم بألا تنسوا أسرانا.

إننا ننحني إجلالاً لشهداء الأقصى الذين يقاومون بصدورهم العارية شراسة القوة العمياء وجنون التعصب، ونستشرف معهم وسط الدموع والدماء بزوغ فلسطين الحرة وانهيار الصهيونية.

تحية في بدء دورتنا هذه لبطلين من أبطالنا وَحَّدا بين السيف والقلم.

وتحية لكل شهداء أمتنا، الذين كتبوا بدمائهم تاريخنا المجيد، ولكل الشعراء الذين جعلوا من شعرهم جسراً للعبور إلى المستقبل المشرق.

وأخيراً تحية لأم الشهيد محمد الدرة الحاضرة معنا اليوم التي قدمت فداء لفلسطين فلذة كبدها طفلاً شهيداً صار رمزاً يمثل كل شهداء الانتفاضة المباركة وشكراً لها لقدومها معنا لتحيي شعب الجزائر شعب التضحية والفداء.

حفظكم الله جميعاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

كلمة فخامة الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة

رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أخي الكريم عبدالعزيز سعود البابطين،

السادة أمناء مجلس مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين، للإبداع الشعري،

أصحاب المعالي والسعادة، أيها الضيوف الكرام،

أيتها السيدات الفضليات، أيها السادة الأفاضل.

حينما بلغني كتابكم الذي زفَّ إليَّ بشرى اختياركم الجزائر لاحتضان الدورة السابعة لمؤسستكم الموقرة، هزني شعور غامر بالغبطة والاعتزاز، شابه رسيس من خوف طالما اعتراني في مثل هذه المواقف، خشية التقصير في منحي كرم الضيافة حقه، وواجب رعاية إخواني، وإنزالهم منازلهم من المحبة والتقدير، وذلك قناعة راسخة مني بأن بذل الجهد في إرضائكم ورعايتكم سيبقى دون المأمول، إذا قيس بجهدكم المبذول في نشر العلم والمعرفة، ونفض غبار الاندثار والنسيان عن كنوز تراثنا العظيم.

وما كان هذا بمستطاع لولا همة أخي وصديقي عبدالعزيز سعود البابطين.

فيا بائع السعادة والشباب في كل الأقطار ويا باني جسور التواصل بين الأجيال، جزاك الله عنا خيرا.

فكم نحن مدينون لك، أيها الصديق البر، بإحياء هذه الرموز وجمعها، وإعطائها بعض حقها، ولا نشك بأن اهتمامك بالشعراء الجزائريين هو اهتمام في نفس الوقت بالشعب الجزائري، يعزيه إلى حد بعيد في الفترة المأساوية التي أحاطت به، فقد كان

يشعر بالوحدة والعزلة، وكأنه يتيم لا صديق له ولا شقيق، فترة صمتت فيها العصافير، وجفت الأقلام، وخرس الشعراء، وانطوى السياسيون على قضاياهم، وكأن الجزائر لا تعنيهم، وأن قضيتها ليست قضيتهم، لا أقول هذا حسرة ولا تحدياً أو استفزازاً، ولكني مطالب من الشعب الجزائري، بأن أذكّر فقد تنفع الذكرى، إن ما حدث في الجزائر قد يحدث في أي بلد، وأن الأفراح والأتراح إنما هي دُوَلَةٌ بين الشعوب، وأن شعبنا وأي شعب عربي لا نصير له في السراء والضراء إلا الأمة العربية وأقطارها دون استثناء.

أخي العزيز البابطين،

حينما وافتني رسالتكم الغراء بتسمية هذه الدورة بدورة أبي فراس الحمداني، وبرغبتكم في أن ألقي كلمة أمام هذا الجمع المختار من الشعراء والأدباء، ترددت كثيرًا، ذلك أن هذا الميدان، ليس لي فيه باع ولا ذراع، وقد اختلفت بي السبل، فسلكت بي الحياة طريقاً، يضيق به الأدب، وينبو عنه القريض، فبأي لغة أتكلم أمامكم عن أبي فراس، وأنا لست فارس كلمة مثلكم.

وبما أنكم أقحمتموني في هذا الميدان، فها أنا جئت، لا لأنافس في محفل من محافل الأدب، ولا لأركب جواداً بين فرسان القلم، فلا حظّ لي في البلاغة والبيان، وليس لي في الأدب الرفيع طمع ولا نصيب، كلا ولا لأزيدكم شيئا تجهلونه عن أبي فراس، ولكنها الجرأة التي هي خصيصة تعرفونها في الجزائريين، تدفعني إلى أن أحيد عن خط الإجماع، وأتطفل عليكم بفذلكة هي أقرب إلى الهواة منها إلى الاختصاصيين، وقد وجدت منفذاً أغوص منه في الماضي البعيد، لأستخرج لآلىء شاعرنا أبي فراس مكنونة في رداء الأمير عبدالقادر بن محيي الدين الجزائري، وإذا كانت الجرأة تعطي الحق للعقاد بأن يقارن بين المتنبي ونيتشه، فإنها، وبدون أن أنهز بدلوي مع العلماء، تدفع بالغواة أو الهواة أحيانا إلى الغرور والاستفزاز، وبذا وجدتني أقارن بين أميرين فارسين شاعرين، وأنا أعرف حق المعرفة أني أمرج بحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان.

وبما أنكم أهل الدار باحتكاركم للمادة والموضوع، فإني أستضيفكم لله، وأستشرح صدوركم، وأستوسع بالكم، ما دمتم كرمتموني بالحضور، فتحملوا مني التطاول والجسارة.

لاشك أن أمير منبج سيأخذ منكم حصة الأسد، وأنا أتركه لكم جملة وتفصيلاً، وأخلط الحابل بالنابل في مقارنة بين أبي فراس والأمير عبدالقادر، تمهيداً لبعض الخطرات التي تقلق ضميري، والتي كثيرًا ما تجعلني أحن إلى سكينة المهاد، وغفوة الوساد.

أنا لا أغرف من البحر الذي تغرفون، ولكن مما علق في ذاكرتي من علم علمنيه ربي زمن الصبا والشباب.

هل تسمحون باستحضار الأميرين الفارسين الشاعرين اللذين تداولت يمناهما السيف والقلم، فخطتا في التاريخ مصائر أمم، حيث كان أمير منبج ينافح بوادر الصليبية في المشرق، وكان أمير قيطنة يكافح أواخرها في المغرب، فكانت حياتهما كلها أحداثاً وحروباً وعذاباً وأسْرًا، على ما فيهما من رهف العواطف، ورقة الإحساس.

لقد مدّ أخي عبدالعزيز جسراً من الشام أرض البطولات، ليقطعه أبو فراس إلى الجزائر أرض البطولات، فيضرب فيها ناديه، ويلتقي بعشاقه ومحبيه، أرض لا يعدم فيها أمثاله من الأبطال، الذين قدموا أرواحهم فداء للوطن، وصوناً لاستقلاله وسيادته، وحفاظاً على عزته وكرامته، منذ عهد يوغرطة وماسينيسا، إلى الأمير عبدالقادر، فشهداء ثورة التحرير، إلى آلاف الضحايا الذين يعيا بهم الحصر، وكأنما كتب على هذه الأرض منذ القدم أن تدفع كما دفعت أرض الشام مهر الحرية والعزة والكرامة غالياً، ودون مساومة، وكأن الجزائر اصطفاها القدر بأن لا تعيش إلا بانتصارات باهرة أو بانكسارات محزنة، تلك سنة الله في خلقه، وما أصدق أبا فراس وتربه عبدالقادر حين يعتدان بذلك فيهتف الأول:

تهون علينا في المعالي نفوسنا

ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

ويجيبه الثاني:

ونبـــذل يـوم الـروع نفـــسًـــا كـــريمـة

عـلى أنـهـــا فـي الـسلم أغلى من الـغـــالـي

إن المتتبع لحياة الرجلين يجد بينهما تشابهاً كبيراً، فهما - أميران فارسان، شاعران، يشتركان في صفات قلَّما اشترك فيها توأمان، تتجلى في ما نفثا من شعر، وما خاضا من معارك، وما عانا كلاهما في الأسر والمنفى وما اتصفا به من شيم عالية ومروءة وشهامة، وذودهما عن كرامة النفس، وعزة الوطن، وإعلاء كلمته.

وقد نشأ شاعرانا على ما ينشأ عليه الأمراء، من تمرس بالحرب، ومن حب للنجدة والفروسية، حصنهما ظهر الجواد، ورفيقهما السيف، وسميرهما سمهري مثقف، وقد ظهرت عليهما مبكرة مخائل الفتوة والنجابة، فعهد لهما ولياهما وهما في العشرين من العمر بمهمات في القيادة، وسوق الجيوش، والدفاع عن الوطن، وبيضة الإسلام، وقد أبليا بلاءً علق بالزمن، ولصق بالتاريخ، وسيبقى خالداً ما بقي الزمن والتاريخ.

ولئن كانت الفروسية تبرز أكثر ما تبرز زمن الحرب، وكانت الحرب والسلم هما مختصر التاريخ البشري، فإن الشعر لا سيما العربي هو الذي يحفظ لنا هذا التاريخ، ويظل تلقائيّاً، بتقلده مسؤولية ذاكرة الشعوب، الموسوعة المتنقلة التي تدون الوقائع عبر العصور، في شهادات ثابتة، تضمن التواصل بين الأجيال في أساطير متجددة، وتخلد المشاعر والأحاسيس، فتنقلها ناطقة منذ القرون وكأنها وليدة اليوم، وإلا كيف اجتمع اليوم أبو فراس وعبدالقادر، بعد ألفية من الزمن كأنهما متعاصران، يهتفان بالحرية، ويتغنيان بشيم الفروسية، فالحياة عندهما كفاح، والموت بطولة، فحين يهتف أبو فراس:

« ونـــحـــن أنـــاس لا تـــوسـط بـيـنـنـا

لنـا الـصـــدرُ دون الـعـــالمين أو الـقـــبـــرُ »

سرعان ما يعضده عبدالقادر بقوله:

« من لـم يمت عندنـا بـالـطعن عـــاش مـــدى

فنحن أطول خـلـق الـلـه فـي الـعـــمـــر »

ولعل ما يجعل علاقاتنا أكثر متانة، وأقوى على مجابهة الأهوال، هو هذا التوالد للأبطال، والتماثل في الصفات والمواقف، والتوافق في الأحداث وما يترتب عنها من نتائج، ليبقى كل ذلك عبراً ودروساً، تستلهم منها الناشئة جيلاً بعد جيل، سداد الرأي، وقوام السلوك.

فليس إذن من قبيل التمحل أو الشطط البحث عن وجه الموازنة بين أبي فراس والأمير عبدالقادر، فكلاهما قد ذاق مرارة الأسر، وطعم الخيانة، وكادت الظروف والملابسات التاريخية أن تكون واحدة، فقد عاش أبو فراس في زمن المتنبي في جو مشحون بالدسائس والتغيرات الخطيرة، والحروب الدامية، وتفسخ القيم، فنشأ على ما ينشأ عليه أبناء الملوك والأمراء، وكان عليه أن يحارب مع سيف الدولة، على جبهات متعددة، إخضاع القبائل المتمردة، ورد غارات الإخشيديين، ناهيك عن التصدي للفتن والانقلابات الداخلية، وأخيراً الصمود أمام زحف الروم البيزنطيين، هذا الزحف الذي كان تمهيداً بل بداية للحروب الصليبية التي اشتركت فيها جُلُّ الدول الأوروبية المسيحية لاحتلال قلب البلدان العربية.

وتشاء الظروف والملابسات التاريخية، أن يتكرر نفس السيناريو والإخراج، بعد عشرة قرون ولكن في المغرب العربي، فقد عاش الأمير عبدالقادر الحسني في عصر كانت الإمبراطورية العثمانية، التي بسطت خلافتها على البلاد العربية، تتناوشها الأسقام من كل جانب، وتتراجع جيوشها في كل مكان أمام الأوروبيين، في آخر زحفهم الصليبي، على كل الوطن العربي، وأصبحت تدعى بالرجل المريض، الذي ينتظر هلاكه في كل حين، في هذه الأثناء وفي سنة 1827 وقعت حادثة المروحة الشهيرة، التي قيل إنها كانت السبب في أن تثأر فرنسا لشرفها باحتلال الجزائر، غير أن الشرف المثلوم كما يزعمون انتظر إلى أن انكشف دفاع الجزائر بغرق الأسطول الجزائري درع البلاد المنيع، عندما هب لنجدة الأسطولين التركي والمصري في كمين بحري نصبته دول أوروبية، بما فيها روسيا، في نافارين، فخلا الجو لفرنسا التي فقدت أجزاء من إمبراطوريتها الأولى إبان حروب الثورة الفرنسية، وتنازلت لبريطانيا عن معظمها في

سنة 1815 واعتقدت، وهي عميدة الكاثوليكية في أوروبا، أنها باحتلال الجزائر التي كانت تتزعم الجناح الإسلامي في شمال إفريقيا، ستفتح لها باباً للمسيحية، وفي نفس الوقت تتخلص من المعاهدة التي فرضت عليها سنة 1815، وتعوض مكانتها المتداعية في الرأي العام، إذا هي أحرزت نصراً خارجيّاً، وهكذا هاجم الأسطول الفرنسي الجزائر، وقضى على المقاومة التركية الضعيفة، وعمت البلاد الفوضى، فهب الجزائريون للتصدي لهذا الغزو، وبايعوا الشيخ محيي الدين والد عبدالقادر، غير أنه اعتذر لتقدم سنه، وعين ابنه عبدالقادر بطلب منهم، وهو في بداية العشرين من عمره، فكان ابن بجدتها حقّاً.

في سهل غريس الخصب، بالقرب من معسكر، حيث يعتبر النبل الديني هو النبل الحقيقي، نشأ الأمير عبدالقادر في أسرة شريفة دينية، كان ربها من حماة الشريعة، ومن كبار أوليائها المختارين، على رأس الطريقة القادرية، وكان بيته الكبير موطن سلام وملجأ للطلبة والفقراء والحجيج، نشأ على ما ينشأ عليه كبار الأعيان، من تعلم الفروسية، والتمرس بالقتال، وحمل نفسه على ممارسة الرياضة البدنية والنفسية.

وكما خاض أبو فراس معاركه بكل شجاعة وإقدام وروية، قاد عبدالقادر حروبه بكل بسالة ودربة وحنكة، وتشاء الظروف أن تقهر أبا فراس ويقع أسيراً في قبضة الروم، مع ثلة من أصحابه، الذين خيروه بين الفرار أو الموت، فاختار الموت الذي هو الاختيار الطبيعي لأي فارس شجاع:

وقال أصيحابي الفرار أو الردى
فقلت: هما أمران أحلاهما مرُّ
ولكنني أمضي إلى ما لا يعيبني
وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
هو الموت فاختر ما علا لك ذكره
فلم يمت الإنسان ما حيي الذِّكْر

وتقلب له الدنيا ظهر المجن، فيصبح أسيراً، بعد أن كان أميراً، يعاني من فرط الانكسار، واليأس، والنسيان، بعد أن كان ملء الأسماع والقلوب، فاهتزت عقيدته،

وثقته بالناس، وتجرع مرارة الجحود والنكران، بعد أن استبطأ فدية ابن عمه له، فلم يجد إلا الزفرات الحرى، والدموع يذرفها بكبرياء على مصيره المجهول:

تناساني الأصحاب إلا عصابةً
ستلحق بالأخرى غداً وتزولُ
ومن ذا الذي يبقى على العهد إنهم
وإن كثرتْ دعواهمُ لقليل
أقلِّبُ طرفي لا أرى غيرَ صاحبٍ
يميل مع النعماء حيث تميل
أكلُ خليلٍ هكذا غير منصفٍ
وكل زمان بالكرام بخيل؟

غير أن اهتزاز ثقته بالناس لم تَطَلْ كبرياءه، واعتزازه بنفسه، وتيقظت فيه نخوة العربي الأشم حينما استدعاه ملك بيزنطة آنذاك وأراد التعريض به قائلا: «إنما أنتم العرب كتَّاب، لا علم لكم بالحرب» فرد عليه بشهامة العربي المحارب: «ويحك أيها الملك، نحن نطأ أرضكم منذ ستين عامًا، بالسيوف أم بالأقلام؟»، وحاول ملك بيزنطة أن يغريه ويوغر صدره على سيف الدولة، ولكن شموخه وأنفته أبيا له الانصياع، والسقوط في شرك الخيانة، وصرخ بملء فيه:

«وأيقنت أني بالوفا أمة وحدي»

ولكن أبا فراس لم يكن في الوفاء أمة وحده، فإن وفاء الأمير عبدالقادر لأصدقائه، وحتى لأعدائه قد فاق كل تصور، فقد شاءت نفس الظروف الداخلية والخارجية، والملابسات التاريخية أن تقهر الأمير عبدالقادر على تسليم سيفه لابن ملك فرنسا، حقناً لدماء الجزائريين، حينما وُجِدَ في نفس الموقف الذي وصفه أبو فراس بقوله:

ولكن إذا حمَّ القضاء على امرىءٍ
فليس له برٌّ يقيه ولا بحر

ويتجلى وفاؤه عندما دخل المغرب تحت ضغط الجيوش الفرنسية، وكاتبه بعض القبائل طالبين منه تولي العرش، ولكن وفاء الأمير وأريحيته أبت له النزول عند رغبتهم،

وخاطبهم قائلا: «إني دخلت بلاد السلطان، لا لأكون ضده، أو لنأخذ ملكه منه، فهذا ما لا يقبل به عاقل».

وحينما حلّ الأمل عبدالقادر واستقبل بالمشرق كما يستقبل الفاتحون، رأى فيه العرب المنقذ من وطأة الخلافة العثمانية، بعد أن أخذ الوهن يسري في أوصالها، وخاطبه بعض الوجهاء قائلين «أن لا نجاة، ولا نجاح للأقطار العربية جمعاء إلا بالاتحاد تحت رايتكم الشريفة»، رفض الأمير رفضاً قاطعاً اقتسام تركة الرجل المريض.

بل يذهب الأمير إلى أبعد من ذلك، فيرفض عرض الإمبراطور نابليون الثالث بأن يكون نائبًا له في المملكة العربية التي كان ينوي إنشاءها في الجزائر، وفاءً لشعبه وتمسكاً بالكرامة، والمبدأ والسيادة، وكأنه كان يضع أمامنا المعالم والأضواء التي لا يجب أن نتخطاها في علاقاتنا، وتعاملنا مع الآخرين، مهما كان تسامحنا، ومهما بلغت أريحيتنا، وذلك عندما عرضت عليه فرنسا الإقامة بباريس، وأقطعته الضياع، والدور، والقصور حتى قصر تريبانون TRIANON فرفض ورد على تلك المغريات قائلاً: «إني لا أقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالديباج» لأنه كان يرى نفسه سجيناً.

وقد قال للطبيب الذي جاءه ملحاً عليه بالتفسح في الحديقة بعد أن ساءت حالته الصحية فرفض وأجاب:

«إني في ثكل من حريتي».

وفي ليالي الأسر الطويلة، يستذكر الإنسان سويعاته الجميلة، ليتجمل بها وليتحمل واقعه الأليم، وأي ذكرى أجمل من تلك التي قضاها مع من يهفو إليها القلب، وتطمئن إليها النفس، إلى الأم التي منحته الحياة وطرفًا من الحب وأمسكت بالطرف الآخر، فاعتلقا مدى الحياة، غير أن الدهر يأبى إلا أن يمعن في إيلام الأميرين الأسيرين، فيختطف الموت والدتيهما، فيصرخ أبو فراس والألم يمزق أحشاءه:

أيا أمَّ الأسير سقاك غيثٌ

بكرهٍ منك ما لقي الأسيرُ

إلى من أشتكي ولمن أناجي

إذا ضاقت بما فيها الصدور

نُسلَّى عنك أنَّا عن قليلٍ

إلى ما صرت في الأخرى نصير

ويتفطر قلب الأمير عبدالقادر ألماً، فيقضي لياليأ وأياماً لا يرقأ له دمع، وحينما يطالب ببعض التجمل يقول: «كيف ذلك وأنا فقدت أعظم من كان يحبني على وجه الأرض».

إن شدة الألم التي أنطقت أبا فراس بأجمل ما قيل في الشعر العربي عن فقد الأم، قد أخرست عبدالقادر بأبلغ صمت حيال غيابها، وكم:

خرستْ لعَمْرُ الله ألسُنُنا

لما تكلم فوقها القدر

ولكن ما تزال أمام الأميرين في العمر فسحة، وفي الشوق والحنين امتداد، وحبل الودِّ لم ينقطع، ولكن أمسكت بطرفة الآخر يد أخرى حانية، فاستحيا الأمير عبدالقادر أم البنين وراح يشكو إليها الفراق ويبثها الحب:

جفاني من أمِّ البنين خيالُ

فقلبي جريح والدموع سجالُ

ولو قلتُ دمعي قد ملكتُ فكاذبٌ

بدعوايَ، بل ذا غِرَّةٌ وضَلال

بل يذهب أبعد من الشوق فيعترف بما لا تبوح به عادة نفس أبية طبعها العزة والكبرياء، ومن شيمه أن يكون صادقاً لا يخادع ولا يراوغ، فيقول:

ألا من منصفي من ظبيٍ قفرٍ؟

لقد أضحت مراتعه فؤادي

ومن عجبٍ تهابُ الأُسْدُ بطشي

ويمنعني غزالٌ من مرادي

خليلي إن أتيتَ إليَّ يوماً

بشيراً بالوصال وبالوداد

فنفسي بالبشارة إن تَرُمْها

فخُذْها بالطَّريفِ وبالتِّلاد

إذا ما الناسُ ترغبُ في كنوزٍ

فبنتُ العمِّ مكتنزي وزادي

وقد يعجب الناس من غزل شاعر بأم بنيه، طالما هي عنده لا تحوجه إلى لوعة، مما يضفي على العاطفة في هذه الحال شيئاً من التكلف، حتى لا نقول شيئاً من البرودة، ولكن سرعان ما يزول العجب، عندما نعرف أن أم البنين هذه، وقد اتصفت بأخلاقها العالية، وجمالها البارع، وهي التي خيَّرها يوم تولى إمارة الجيش قائلاً: «إن شئت أن تبقي معي، وإن أبيت إلا أن تطلبي حقك فذلك بيدك، لأني تحملت ما يشغلني عنك»، فآثرت البقاء معه وسارعت إلى مده بكل ما تملك من حلِي وكانت حلاها أول وديعة في بيت المال، أوَ لا يحق له أن يحن لها، وفاءً بوفاء، وهو من بيت يرابط فيه الأولياء، ويعمره الإيمان؟

وتتحول صبوات أبي فراس إلى صبابات عذاب، يهون معها العذاب، ويغدو الجمال عنده رديفاً للفروسية، فيعذب في قصائده، ويتفورس الجمال، فيبسط له يد الهوى، ويذل له دمعًا من خلائقه الكبر، ومع ذلك كان عفيفاً شريفاً، مترفعاً لم يتبذل:

فيا نفس ما لاقيت من لاعج الهوى

ويا قلب ما جرَّتْ عليك النواظرُ

ويا عفَّتي ما لي وما لك كلما

هَمَمْتُ بأمرٍ همَّ لي منك زاجر

كأن الحِجا والصونَ والعقل والتُّقى

لديَّ لرباتِ الخدور ضرائر

كما كان بعيداً عن اللهو والمجون، عزوفاً عن الشراب:

لئن خلق الأنام لحسْوِ كأسٍ

ومزمارٍ وطنبورٍ وعودِ

فلم يُخْلَق بنو حمدان إلا
لمجدٍ أو لبأسٍ أو لجود

وهذه الفضائل، من طهارة في النفس، وترفع عن الدنايا، وعفة في الأخلاق، يتقاسمها أبو فراس مع الأمير عبدالقادر، الذي كانت حياته تتسم بالزهد والتُّقى، بالرغم من أن كليهما كان معجباً بنفسه، فخوراً بقومه.

وكثيراً ما تستبد الوحدة والوحشة بأبي فراس، وفي لحظة انسحاق وجداني، تستيقظ فيه «الأنا» الطاغية، ويهدد بمنع القطر عن العباد والبلاد، إذا ما امتنعت عنه مالكة الفؤاد:

معللتي بالوصل والموت دونه
إذا متُّ ظمآنًا فلا نزل القطر

وكاد قول الأمير عبدالقادر، أن يقرب من ذلك، حين أنشد مزهواً بعد انتصاره في إحدى معاركه:

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي
وبي يحتمي جيشي، وتحرس أبطالي

وقول الأميرين ليس سوى تعبير عن حالة نفسية، في ظروف خاصة، انكسر فيها أبو فراس، تحت ذل القيد، وسورة الإحباط، وانتصر فيها عبدالقادر، فازدهى بالبطولة، وانتشى بالفوز، ونحن نبقى أميل إلى حكيم المعرة الذي يتجسد فيه الإيثار، ويحمل في أعمق مضمونه بعداً إنسانياً عالمياً، يتجلى في قوله:

ولو أني حُبِيت الخلد فرداً
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلتْ عليَّ ولا بأرضي
سحائبُ ليس تنتظم البلادا

ولكن يتجسد هذا البعد الإنساني أكثر ما يتجسد في الموقف المشرف، الذي وقفه الأمير عبدالقادر من الفتنة التي كادت تعصف بالأخضر واليابس في سوريا بين

المسيحيين والمسلمين، موقف كان من الممكن أن يصبح مثالاً يقتفى ويحتذى به، في العلاقات بين الأديان والدول، لو وجد الآذان الصاغية، والعقول الواعية، فقد كان الأمير يدرك بحكمته وبعد نظره، أن التطرف الديني، والبعد العقائدي، لا يعبران إلا عن ضيق أفق، وجهل بحدود الشرائع، فكان يخاطب الجميع بقوله: «**لو أصغى إليّ المسلمون والنصارى لرفعت الخلاف بينهم، ولصاروا إخواناً ظاهراً وباطناً ولكنهم لا يصغون**»، واستطاع الأمير في تلك الحوادث الطائفية، أن يجسد الأريحية العربية، والتسامح الإسلامي، وأن يسعى جهد المستطاع، إلى حقن دماء المسيحيين، فأمَّن، بعد الله، زهاء عشرة آلاف من الذين آووا إلى كنفه، أمنهم من خوف وأطعمهم من جوع، وتعهدهم بالنفقة والحماية، بعين لا تنام، حتى أبلغهم مأمنهم، ووصف أحد المسيحيين، بلاء الأمير، ومضاء عزمه فقال: «**لم يفتر الأمير في تلك الفتنة لحظة عن نصرة المظلومين، وإنقاذهم من القتل، وتطبيب الجرحى، وتعزية الثكالى واليتامى، وكان يقضي أكثر الليالي ساهرًا، وبندقيته في يده حرصاً على مَن في حماه، فإذا غلب عليه النعاس أسند رأسه إلى فوهتها قليلاً..**».

لم ينسق الأمير وراء بعض العواطف الدينية، التي يتعطل معها كل تفكير وتمييز، ولا يقرها شرع أو صدق إيمان، فوقف بحزم وصرامة في وجه من يسيؤون، عن جهالة، إلى قداسة الكتاب والسنة، فجمع الناس وقال لهم، وكأنه مازال حيّاً بيننا: «**إن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي، أجلُّ وأقدس من أن يكون خنجر جهالة، أو معول طيش، أو صرخات نذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم.. أحذركم من أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيبًا، أو يكون له على نفوسكم سبيل..**». ولم يقف مثل هذا الموقف عبر التاريخ إلا صلاح الدين الأيوبي.

وطبقت شهرة الأمير الآفاق، بعد هذا الموقف الإنساني العالمي، وانهالت عليه النياشين، وأغدق عليه التكريم والتبجيل من كل مكان.

ولعل الذين لم يتعمقوا في حقيقة الدين الإسلامي، أو لم يعرفوا نبل الأمير وإنسانيته قد أخذ بهم العجب كل مأخذ، كملكة بريطانيا التي أرسلت إليه هدية ثمينة

متعجبة مستفسرة، فرد عليها بقوله: «**إنني لم أفعل إلا ما توجبه عليَّ فرائض الإيمان، ولوازم الإنسانية**»، ولو شئنا لقلنا بتعبيرنا المعاصر حقوق الإنسان.

وإذا وجدنا في شعر الأميرين بعض التشابه، فذلك لتشابه الظروف والأحداث، والأمانة العلمية تستدعي أن يدرج الأمير عبدالقادر في مصاف أقرانه من القادة البارزين أمثال شاميل الداغستاني وعمر المختار والإمام ساموري، الجامعين بين التصوف والجهاد، وما الشعر عنده سوى الجانب الأقل شهرة من شخصيته حتى عند الشعب الجزائري، الذي يعرف عن حياته كل شيء كقائد جيش، ومؤسس أركان الدولة الجزائرية الحديثة ورئيس دولة محنك ملم بالعلاقات الدولية وقد يكون الشعر عنده من تمام الفروسية المألوفة عند سادات العرب.

ولذلك فهو يختلف عن أبي فراس، إذ قصر جل شعره على المحبة الإلهية، ونحا فيه منحى الرمزية التي اشتهر بها المتصوفة. فهو في خمرياته وغزلياته الإلهية كابن الفارض، والسهروردي، إذ نلمس فيهما عاطفة ملتاعة، وحبّاً مشبوباً، مما يعني الصدق في توجهه، وأنه أدرك الطريق الصحيح لمعرفة الحق تعالى، ويتضح ذلك جلياً في رائيته وحائيته، فمما جاء في الأولى:

معتَّقة من قبل كسرى مصونة
وما ضمَّها دنٌّ ولا نالها عصرُ
هي العلمُ كلُّ العلم والمركز الذي
به كل علمٍ كل حين له دور
وفي شمِّها حقّاً بذلنا نفوسنا
فهان علينا كل شيء له قدْر
وملْنا عن الأوطان والأهل جملةً
فلا قاصراتُ الطرف تثني ولا القصر

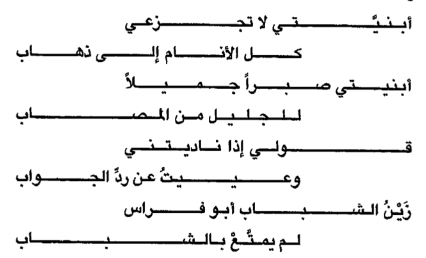
وفي الثانية يقول:

أبداً تحنُّ إليكم الأرواحُ
ووصالكم ريحانُها والراحُ

وا رحمتا للعاشقين تكلفوا
ستر المحبَّة والهوى فضَّاح

أما أبو فراس، الذي أعلن أنه ليس شاعراً، في حين يدعي بأنه أشعر من الفرزدق وجرير، فقد نما في بلاط ملك، كان فيه للشعر الغنائي رواج كبير، وانتهى إليه الفطاحل من أشهر شعراء العرب من أمثال المتنبي، والسري الرفاء، والزاهي علي بن اسحق، وأبي الفرج الببغاء، وأبي بكر الصنوبري، ثم النامي أحمد بن محمد الدارمي، الذي أخذ مقام المتنبي عند سيف الدولة بعد انفصاله عنه.

فأولى لمن كان في مثل هذا البلاط، وعاصر المتنبي نابغة الشعر العربي وانتقده وناظره، حتى أصبح يتحاشى مجالسته، «أن يكون في فخره حماسة متدفقة، وفي التعبير عن أحزانه انسياب رقيق»، وأن يذوب ويذيب رقة ولوعة، وهو على فراشه يعاني سكرات الموت:


أبنيَّتي لا تجزعي
كل الأنام إلى ذهاب
أبنيتي صبراً جميلاً
للجليل من المصاب
قولي إذا ناديتني
وعييتُ عن ردِّ الجواب
زَيْنُ الشباب أبو فراس
لم يمتَّعْ بالشباب

هذه الزفرة الحرَّى التي نفثها أبو فراس، في ألم وحزن رومنسي رهيف، قد اخترقت الزمن والقلوب، وتحدت القرون العجاف، تزداد تأثيرًا في النفس، كلما ازداد لها المرء ترديداً، تبوَّأ بها صاحبها مكانة عالية رفيعة، ليبقى حيَّاً خالداً، فنيّاً وروحيّاً، ولو كان أبو فراس وهو الذي اعتنق الفخر بنفسه وبقومه، لو كان يعلم كيف تكون مكانته في أمته، وبين شعراء العالم، عالية لا تتدنى، منيرة لا تنطفىء، فلن يبكي بتلك المرارة التي خاطب بها ابنته، ولن يأسف على أسر قصير أو طويل لقاء حياة لا تموت.

وهكذا نرى فارسنا عصي الدمع، حين يبكي لا تسقط من عينيه الدموع، وحين يتألم يرسلها زفرات حرَّى، وآهات لافحة، لا تصدر إلا عن نفس كريمة لفارس كريم اجتمعت فيه صفات الفتوة، كرم وفروسية، مروءة وشاعرية.

لا جدال إذن في أن أبا فراس من فرسان الشعر، ولا جدال في أن المتنبي كان وسيبقى شاعر العرب والحكمة، ولكن ما يشوبه أن قصر جُلَّ شعره إن لم أقل كله على المدح والهجاء، مما حدا بأبي فراس أن يعرض به دون أن يذكر اسمه ترفعاً كعادته وعفة، ويتبرأ من المدح، وينكر أنه شاعر:

نطقت بفضلي وامتدحت عشيرتي

فما أنا مداح ولا أنا شاعر

ومع اعترافنا بجزالة لغة المتنبي، ونفاذ حكمته، وبرقة البحتري وسلاسة شعره، ومع معرفتنا برأي المعري فيهما وفي أبي تمام، فإننا نترك الحكم للمختصين ليقرروا من أشعر الأربعة، إذا أضفنا إليهم أبا فراس.

وكان مصير أبي فراس مصير العباقرة من الشعراء العالميين، فقد مات شابًا في سن أبي القاسم الشابي، وبوشكين، وجارسيا لوركا، وفوزي المعلوف، وألفريد دي موسي، وريمبو الشاعر المتمرد الذي بعد تفتحه على لغة العرب واختلاطه بهم أشاد ببطولة الأمير عبدالقادر في قصيدة باللغة اللاتينية عنوانها «يوغورطا» وكانت لازمتها: «عبدالقادر سليل يوغورطا»، وحمود رمضان شاعر وادي مزاب، ولارمنتوف، ومن قبلهم طرفة بن العبد، هؤلاء الشموع التي احترقت، بسرعة ما ألهمتهم نار العبقرية، والنبوغ، ولوعة الوجدان، ذهبوا على قطار من العمر سريع، بعد أن اقتطعوا من حياتهم أجزاء، أهدوها لنا، لتطول أعمارنا بجمال ما جادت به قرائحهم من فتن السحر، وروعة الإبداع، وكأن العباقرة لهم من الجاذبية والجمال ما يجعل المنية تعشقهم وتقتطفهم في ريعان الشباب.

أيها الإخوة الكرام

لقد قلت في بداية حديثي، إني كنت أرغب في مشاطرتكم بعض الخواطر التي لها علاقة بمشاكل الساعة في بلادي، كنت في شبابي أعتقد أن لغتي هي وطني وديني، وكنت كلما دخلت بلداً آخر ازددت حباً وتعلقاً بوطني، ولكني في نفس الوقت، فتحت

لنفسي أبواباً تعرفت بها على عبقرية الشعوب، وخصوصياتها، ومعتقداتها، أو اكتسبت سلاحاً جديداً استعملته ضد من جنى علي أو على قومي، ومن ثم أراني أقرب إلى تفكير المناضل مني إلى إحساس الأديب المرهف، ناهيك عن الشاعر الملهم، إني أنتمي إلى جيل مخضرم، حاول أن يعد للحياة سلاحها، من منطلق البيئة والمحيط، وتلاطم الأمواج العاتية التي يتأرجح فيها المرء بين جاذبية المستجد من الأمور، لاسيما في ميدان اللغة والثقافة، وبين التشبث بالقديم والتقاليد، جاء من قال: «اعرف نفسك بنفسك»، ونقش على واجهة معبد دلف Delphe اليوناني «اعرف نفسك بنفسك وبمعرفة الغير»، وأكد القرآن الكريم حصافة هذا الرأي، «وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟» وإذا سمحتم لي بتعميق الفكرة أقول «اعرف نفسك بنفسك، وبمعرفة الغير، وبالاعتراف به»، هكذا أكون منسجمًا مع ما في وجداني، وما في ضميري من معتقد.

لست هنا بصدد الحديث عن أدبائنا وعلمائنا ومفكرينا، وفلاسفتنا القدامى، فهذه مهمة نتركها إلى ذوي الاختصاص، من أبناء الجزائر ومن أبناء الأمة العربية، ممن لا يفرقون بين مشرقها ومغربها، وسيجدون بين الجزائريين قمماً في كل نوع من أنواع الثقافة والمعرفة، فلسنا متلقين فقط للحضارة العربية الإسلامية، بل منتجون مساهمون فيها بقسط وافر، يحتاج إلى من يسلط عليه الأضواء.

إذا كنت أعتز اليوم بالشبان الجزائريين وهم ينافسون أقرانهم من شباب الأمة العربية، فإني وفيٌّ بتقديري، واحترامي، واعتزازي للذين وظَّفوا ذات يوم إبداعاتهم بالفرنسية للدفاع عن الجزائر، يوم كانت منسية ومجهولة حتى عند الأشقاء، وإذا كنت أعتز وأفاخر برائعات محمد العيد، ومفدي زكريا، وابن خميس، وبكر بن حماد، والملك الشاعر أبو حمو موسى الثاني فإني أعتز وأفاخر كذلك، بخالدات كاتب ياسين ومالك حداد، ومولود معمري، ومولود فرعون رحمهم الله جميعًا، وأفاخر بإبداعات محمد ديب نتمنى أن يمد الله في عمره.

وهذا يجرني إلى أن أتجرأ عليكم بتكريم رسمي، وامتنان صادق لكل أولئك المبدعين، الذين انتزعوا لغة المستعمر كغنيمة حرب واستعملوها بمهارة كسلاح للتصدي له، وحتى أتجنب التأويلات الخاطئة أو المغرضة، لن أذكرهم، والقائمة طويلة، ولكني أكون مقصرًا، إن سكت، في حق، آسيا جبار، التي نالت منذ أسبوعين، جائزة

أدبية ألمانية، ليست بذاك البعد في قيمتها عن جائزة نوبل، ويسعدني أن أهنئ باسم الشعب الجزائري آسيا جبار الجزائرية الغيورة الأديبة التي دفعت عالياً صوت المرأة العربية إلى آفاق وأجواء الأدب العالمي، على غرار أخواتها اللائي لا أذكرهن نظراً لعددهن الكبير.

أيها الإخوة الكرام

لم أتطرق في ما سبق لي من موازنة بين الأمير عبدالقادر وأبي فراس، إلا إلى ما سمحت به أوجه الشبه بينهما، متجنباً الخوض في مناقب هذا أو ذاك، التي كثيرًا ما جرت أسلافنا كالصاحب بن عباد إلى تفضيل صقع على آخر، إنّي رجل مولع بالتليد من الحكمة والقول، وأحن إلى الشاعر القديم الذي افتتح معلقته العصماء بقوله: «هل غادر الشعراء من متردم».

إن العلاقة الحميمة بين المشرق والمغرب، لا يعكسها رأي الصاحب بن عباد، وإنما تترجمها قصة ذلك الشاعر المغاربي حينما دخل على الخليفة هارون الرشيد، فأراد أن يمازحه ويعرض به، على عادة الملوك في ملاطفة الرعية فقال له «يقال إن الدنيا طائر ذنبه المغرب» فأجابه الشاعر ببديهة فطرية، ونخوة يحسده عليها طارق بن زياد، وابن تومرت وعبدالمؤمن بن علي ويوسف بن تاشفين وغيرهم من قادة الموحدين والمرابطين والفاطميين، أجابه «صدقت يا أمير المؤمنين، إنه الطاووس».

قلت لن أنجر كأسلافنا إلى التفضيل، فالأمير عبدالقادر يظل رمزاً للبطولة ورائداً لبناء الدولة الجزائرية الحديثة أثناء حرب ضروس، في حين يبقى أبو فراس رائداً من رواد الرومانسية التي لم تتفتق إلا في القرن التاسع عشر.

ومن يقرأ خاصة أسرياته (الروميات) وغزلياته يرى من الخطل القول بأن الرومانسية لم تنشأ إلا في القرن التاسع عشر لدى الشعراء الغربيين من أمثال ألفريد دي فيني وألفريد دي موسي، ولا مارتين وبايرون وغيرهم.

ومن الإجحاف أن نغمط حقه وحق معاصريه، ونزعم أن أدباء المهجر أحيوا بعد قرن من الزمن تلك الرومانسية الغربية، لمجرد أن بعضهم كان مزدوج اللغة والثقافة، إن مثل هذه الأحكام تقصير في حق الغنائيين العرب في عهد العباسيين، وتطاول على

أدباء المهجر، وإنكار لعبقريتهم وقدرتهم على الخلق والإبداع والزج بهم في زمرة المفكرين المستلهمين من الثقافات الأجنبية، ولهم في الغنائية العربية نبع ثر المعين، وقد ارتووا، وأصبح لهم في الشعر باع وإبداع.

الآن وقد تطاولت وتجرأت عليكم بما لا تجهلون عن الأميرين عبدالقادر وأبي فراس، أراني أقول بالنسبة للشاعر السعودي الكبير، علي بن المقرب العيوني، شاعر الأحساء والجزيرة العربية، في القرنين السادس والسابع الهجري، أقول «اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت السميع العليم»، وأعترف بجميلكم إن عرفتموني به، وفتحتم لي منبعًا أرتوي منه، رجاء لا تخيبوا طامعًا في كرمكم بإعفائه مما ليس له به علم.

أخي وصديقي العزيز

لقد وفقتم أيما توفيق في اختياركم الشعر ميداناً يتنافس فيه الشعراء الذين كانوا على مر العصور، لسان قومهم الذائد عن حماهم وأعراضهم، ولا أراهم اليوم إلا ضمير الأمة النابض، المعبر عن صرخات المعذبين، والمسحوقين تحت وطأة الحرمان والمعاناة، الداعي إلى الإخاء والمحبة بين أبناء البشر، ونبذ العنف، ودواعي الفرقة والتشتت، ولن يتأتى للشاعر أداء مهمته تلك، إذا كان معزولاً عن الجماهير حبيس نفسه ووحدته، وسجين تهويماته الذاتية، بعيداً عن هموم أمته، وتطلعات مجتمعه.

أخي عبدالعزيز

أكرِمْ بك رجلاً، أدمجَ أدب المشرق العربي في مغربه، وأدب المغرب العربي في مشرقه من المحيط إلى المحيط، أكرم بك أدباً وكرماً ومبادرة، صفات كلها محببة تحبذ لي أن أسألك مباشرة ما الذي جعلك تختار أبا فراس، في هذه الدورة؟ أتريد أن تتجول بنا في عالم المعرفة والثقافة والفن، أم تريد أن ترجعنا بهذه العبقرية، إلى الإحساس المرهف، وحب الجمال، والبر بالوالدين، والترفع عن الصغائر، والصبر الجميل في الشدائد والمحن، وإيثار الموت الكريم على العيش الذليل، وكلها من مكارم الأخلاق، التي افتقدناها في هذا الزمن الذي ساء بأهله وناسه؟ ولكنك توكلت أنت ومن التف حولك من الأمناء الميامين في المؤسسة على الله، ثم على الهمم العالية، والمثل العليا والصالح العام، الذي يهون من أجله كل شيء، ورفعتم التحدي وأفلحتم، لأنكم كنتم وما زلتم دعاة علم ومعرفة، وحماة ثقافة وشعر وإبداع، فليت لنا مثلكم واحداً في كل قطر

على امتداد وطننا العربي يتعامل مع الكلمة الشاعرة ومع الشعراء المحدثين، إذن لانفتحت سبل الهدى لأقلام كثيرة ما تزال حائرة مشردة.

وكم تمنيت على من يسَّر الله له من أبناء الجزائر وحباه بالخير العميم والمال الوفير أن يسارع إلى مثل هذا التعامل المحمود في الميدان الثقافي وهو المحمود عند الله وعند الناس. أقول ذلك دون أن أنسى أو أتناسى ما يدق على أبوابنا من اهتمام جديد متجدد كل يوم بالثورة التي تدور من حولنا وكأننا عنها غافلون، وأعني بذلك ما استجد في علوم البيولوجيا والمواصلات المستحدثة وغزو الفضاء وغير ذلك من فتوحات التكنولوجيا.

ومهما يكن هدفك في تذكيرنا باختيارك أبا فراس لدورتنا هذه، فأنا أترك سرك أسيرك وأكتفي بهذا الجانب من الأخلاق الذي هو أساس بناء المجتمعات وعظمة الأمم، فإننا أحوج ما نكون إلى تلك الأخلاق التي مدح الله بها رسوله الكريم بقوله: «وإنك لعلى خلق عظيم»، والتي ما زلنا نبحث عنها منذ افتقدها أحمد شوقي في عيد الفطر، ونحن في عشية العيد السادس والأربعين لثورة نوفمبر حيث قال:

وطني أسفتُ عليك في عيد الملا
وبكيت من وجْدٍ ومن إشفاقِ
لا عيد لي حتى أراك بأمَّةٍ
شمَّاءَ راوية من الأخلاق
ذهب الكرام الجامعون لأمرهم
وبقيتَ في خلْفٍ بغير خَلاق
أيظلُّ بعضهم لبعض حاسداً
ويقال شعبٌ في الحضارة راقي
وإذا أراد الله إشقاء القرى
جعل الهداةَ بها دعاةَ شقاق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

مئوية الرحيل والميلاد
«الذكرى المئوية
لوفاة الشاعر عبدالله الفرج
وميلاد الشاعر أمين نخلة»

٧ - ١٠ يناير ٢٠٠٢

دولة الكويت

برعاية وحضور

معالي الشيخ أحمد الفهد الأحمد الصباح

وزير الإعلام

رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

كلمـــة

الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)

رئيس المؤسسـة

صاحب المعالي الشيخ أحمد فهد الأحمد الصباح وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ضيوفنا الكرام القادمين من الأقطار العربية ولهم أجر المشقة والعناء

أصحاب السعادة الوزراء

أصحاب السعادة أعضاء مجلس الأمة

أصحاب السعادة رئيس المجلس البلدي وأعضاء المجلس

صاحب السعادة رئيس مجلس الأمة الأستاذ جاسم محمد الخرافي

أيها الإخوة والأخوات جميعا

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي في بدء كلمتي هذه أن أتوجه الى المولى سبحانه وتعالى داعيا أن يعود راعي نهضة الكويت وأميرها القائد حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح حفظه الله إلى وطنه وشعبه سالمًا معافى، إنه سميع مجيب، ويسعدني بالغ السعادة أن أشكر صاحب المعالي الشيخ أحمد الفهد الأحمد الصباح، وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، على تفضله مشكورًا برعاية حفل «مئوية الرحيل والميلاد» التي نحتفي فيها بالشاعر والفنان الكويتي الكبير عبدالله الفرج والشاعر والأديب اللبناني الكبير أمين نخلة.

(*) أقيم حفل افتتاح مئوية الرحيل والميلاد على مسرح المعاهد الخاصة بحولي في دولة الكويت، الساعة العاشرة من صباح يوم الإثنين ٧ يناير ٢٠٠٢م.

ويسعدني أن أرحب باسم زملائي أعضاء مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وباسمكم جميعًا وباسمي، براعي الحفل معالي الشيخ أحمد الفهد الصباح وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مقدرًا له حضوره الكريم، الذي هو علامة جديدة على رعاية الدولة في الكويت للإبداع، واعتبار الثقافة مشروعًا استثمارياً ضرورياً لبناء الإنسان، كما أرحب بسدنة الكلمة من أدباء وشعراء ورجال إعلام الذين وفدوا من عموم أرجاء الوطن العربي تهوي أفئدتهم إلى بلدهم الكويت، ملبين نداء مؤسستنا، ومتحملين الكثير من العناء ليؤكدوا أن العرب على تباعد منازلهم واختلاف مشاربهم هم حلقة واحدة حول الكلمة الشاعرة، نلتقي كوكبة من الطامحين إلى أن يستعيد الشعر دوره كحادٍ للمستقبل العربي المنشود، في ختام سنة حافلة بالعمل الثقافي كانت الكويت خلالها محط أنظار العرب وهي تصطفى عاصمة للثقافة العربية، ولم يكن هذا الاختيار إلا تتويجًا لمسيرة طويلة برهنت فيها الكويت أنها وفية لتراث الأجداد، حريصة على أن تساهم مع أمتها في انبعاث ثقافي شامل يعيدنا إلى ساحة الخلق والإبداع مالكين لأنفسنا وعصرنا.

ونذكر كويت الأمس، وهي تتململ في بدايات القرن الغابر - كباقي العرب - للنهوض من نومها الثقيل، الكويت التي كابدت شظف العيش في أقسى صوره، وجرت وراء الرغيف لتستخلصه من بين مخالب الرمال المحرقة، وأنياب الأمواج الكاسرة، ولكنها لم تنس أن المعرفة والرغيف صنوان، وأن الكلمة لها قداسة الخبز. في ذلك الزمن المبكر بادر التجار المتنورون تطوعًا وبمباركة من الدولة، إلى إنشاء أولى مؤسسات العلم والثقافة فظهرت أولى المدارس العصرية «المباركية»، وبزغت أولى المكتبات العامة «المكتبة الأهلية»، ورائد النوادي «النادي الأدبي»، وفاتحة الجمعيات «الجمعية الخيرية»، كل ذلك كان في بدايات القرن الماضي.

ومنذ بدأت الكويت خطوتها الأولى في مجال التحديث الثقافي أرست ثوابت هذه الثقافة، ولعل أبرزها، أن هذه الثقافة في مضمونها وتوجهها هي ثقافة عربية قبل كل شيء، فحين بحثت الكويت عن زادها الثقافي توجهت بالفطرة وبالوعي إلى محيطها العربي، ترسل إليه وتستقدم منه البعثات العلمية والتعليمية، واستقبلت بكل المحبة والفرح أعلام التنوير العربي : محمد رشيد رضا، ومحمد الشنقيطي، وعبدالعزيز الثعالبي،

وتخاطف مثقفوها الدوريات العربية: (المؤيد – الهلال – المنار – الرسالة)، ولا عجب أن نجد المعلمين الذين تحملوا عبء التدريس في المدرسة المباركية تضم أنسابهم (الأحسائي – المصري – البغدادي – الموصلي...).

وعندما أنعم الله على الكويت بالنفط وانتقلت به من شظف العيش إلى رخائه لم تحرف الثروة المفاجئة هذا البلد عن دوره بل ظلت بوصلة السفينة تتجه نحو الثوابت التي حددها الآباء، بقي الاهتمام بالمعرفة والثقافة كأولوية من أولويات البناء المجتمعي، وأخذت الدولة المبادرة في تحقيق المشروع الثقافي بعد أن توافرت الإمكانات المادية، واستطاعت الدولة بذكاء التاجر وتجرد المتصوف أن تجعل من الكويت خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن الفائت بؤرة إشعاع ثقافي في المنطقة العربية كلها وأصبحت بلدًا مصدِّرًا للثقافة بعد أن كانت مجرد مستورد لها.

وإذ أذكر – لا من باب الفخر وحده بل وأداء للواجب – أن هذا البلد الصغير أصدر المجلة الشهرية الأكثر انتشارًا في الوطن العربي وهي مجلة «العربي» والتي جمعت حولها القراء العرب على اختلاف مستوياتهم واهتماماتهم، وأطلقت السلسلة الأكثر استحسانًا وإقبالاً بين المثقفين العرب، وهي سلسلة «عالم المعرفة»، بالإضافة إلى سلسلة «المسرح العالمي» ومجلة «عالم الفكر» و«الثقافة العالمية»، ولم تغفل مؤسسات الدولة الثقافية البنى التحتية للثقافة، فأصدرت وزارة الإعلام أجزاء كثيرة من أضخم معجم موسوعي في اللغة العربية وهو معجم «تاج العروس» وتسلَّم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – عندما ألحق بوزارة الإعلام – هذه المهمة، ونشرت وزارة الأوقاف أشمل موسوعة فقهية في التاريخ الحديث. وتأكيدًا لهذا الدور الرائد الذي تقوم به مؤسسات الدولة، واقتداء بخطى التجار المتنورين الذين بادروا – إخلاصًا للوطن – إلى إرساء أولى البنى الثقافية قامت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري منذ عقد من الزمن لتمسك بالحلقة الأقوى في حقل الثقافة العربية وهي حلقة الشعر، لما للشعر من قدرة على التغلغل في الوجدان الجمعي، وتجميع قلوب العرب حول إيقاعه الآسر، واستنهاضهم لتجاوز عصر الظلام والتبعية، وخلال هذه الفترة المحدودة من عمر المؤسسة تمكنت من إقامة سبع دورات في عواصم عربية متعددة، واحتفت بذكرى سبعة من الشعراء العرب من عصور مختلفة، فأعادت نشر دواوينهم وأقامت الندوات لدراسة نتاجهم وسلطت الأضواء على

سيرهم، ومنحت الكثير من الجوائز للمبدعين في الشعر ونقده، وقدمت للمكتبة العربية أول معجم للشعراء العرب المعاصرين، وهي تمضي في إنجاز معجم آخر هو «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» وساهمت المؤسسة في فعاليات الكويت كعاصمة للثقافة العربية واستهلّت إصداراتها بالمفكرة الشعرية، وتكريمًا لشهيد انتفاضة الأقصى المباركة محمد الدرة أعلنت المؤسسة مسابقة شعرية استجاب لها أكثر من (١٦٨٢) ألف وستمائة واثنين وثمانين شاعرًا من أرجاء الوطن العربي، أرسلوا قرابة (٢٢٠٠) ألفين ومائتي قصيدة، نشرت المؤسسة منها (٣٩٥) قصيدة مختارة في ثلاثة مجلدات، وأجرت المؤسسة مسابقة أخرى بين الشعراء العرب حول الشاعر ودوره ورصدت جوائز للفائزين الثلاثة الأول، وستوزع الجوائز على الفائزين في هذا الافتتاح وقد شارك فيها (٤٨٧) أربعمائة وسبعة وثمانون شاعرًا، وكلفت المؤسسة مجموعة من الباحثين العرب لإعداد أول مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين في خمسة مجلدات قاربت صفحاتها أربعة آلاف صفحة، وأقامت المؤسسة أمسيتين شعريتين تخليدًا لذكرى شاعرين كويتيين هما: فهد العسكر ومحمود شوقي الأيوبي، وها هي تقيم هذه المئوية متضمنة أمسيتين شعريتين ضمن أنشطتها الأخرى، لتكريم أمين نخلة وعبدالله الفرج.

هذا النهر الثقافي العظيم الذي فجرته الكويت لم يكن مصبه الكويت بل كان يتجه نحو كل أرض ينطق أهلها بلغة الضاد ليروي ظمأهم إلى المعرفة، ولم يكن منبعه أهل الكويت فقط بل كانت روافد المثقفين العرب من كل بلد تصب فيه، فهو نهر عربي في منبعه ومجراه ومصبِّه، ولم يكن هدفه الربح المادي فالكويت التي عرفت الكرم وهي في أسوأ ظروف العيش، لم تتخل عنه وهي في أهنأ عيش، فإذا عرفنا أن المطبوعات الكويتية كانت تصدر في معظمها إلى البلاد العربية، وبسعر أقل من التكلفة، أدركنا أن ما تقوم به الكويت هو رسالة لا تجارة.

وأنا لا أذكر هذا العطاء الكبير لأمتنَّ به على أبناء أمتنا إذ هو أداءٌ لحقٍّ علينا تجاه هذه الأمة العظيمة التي نشرُفُ بالانتماء إليها، وهو مسؤولية أخلاقية لمن يملك المال تجاه طالب المعرفة، ولم يكن لمؤسستنا أن تحقق هذا النجاح لولا الأريحية التي تجلت في الشعراء والمفكرين العرب الذين آثرونا بذوب قلوبهم وعقولهم، وتحملوا العناء إلى أقصاه لكي يبنوا في الكويت وللعرب جميعًا هذا الصرح الشامخ للشعر العربي الذي نستظل جميعا بأفيائه الوريفة.

نجتمع اليوم على أرض الكويت كما التقينا بالأمس على أرض الجزائر، وقبلها في مصر ولبنان والمغرب والإمارات لنحتفي بذكرى شاعرين كبيرين التقيا في لحظتين فاصلتين من الوجود الإنساني: الميلاد والموت، فمنذ مئة سنة غادر الشاعر عبدالله الفرج الحياة على أرض الكويت، ليولد في ذلك العام شاعر كبير على أرض لبنان هو أمين نخلة، وحتى يستمر نهر الشعر في تدفقه في هذه الأرض التي فتحت عينيها على حداء الشعر وإنشاده.

إن من حق المبدعين على أمتهم أن تمنحهم قلادة التكريم كما وهبوها أكاليل المجد والخلود، وإذا كنا لم نعقد المهرجانات للشاعر عند ولادته كما فعل أجدادنا، فإن أقل ما نفعله هو إحياء ذكراهم بعد وفاتهم، وإتاحة ثمار إبداعهم للأجيال اللاحقة كبذار لحصاد جديد، ليتواصل الإبداع على هذه الأرض التي خصها الله بكتابه المعجز.

هذان الشاعران التقيا في بعض السمات. فهما قد عاشا حياة خصبة: تنقلا في بلاد كثيرة، وعرفا ثقافات متعددة، وألـمّا بمعارف عصريهما، وشاركا في أحداث بلديهما، ثم حوّلا هذه الحياة الخصيبة إلى لوحة شعرية مفعمة بالدفء والإيحاء. ولد عبدالله الفرج على أرض الكويت، وتنقل بين الكويت والهند وإيران والعراق والجزيرة العربية، وتعلم في مدارس الهند، وتعمق في لغته العربية من خلال اطلاعه على التراث، وذاق حلاوة الغنى ومرارة الفقر، وولد أمين نخلة في ظلال جبال الباروك بين مفاتن الطبيعة، وأتقن العربية على يد أحد أئمتها الشيخ عبدالله البستاني، واطلع على عيون التراث العربي، وعلى روائع الآداب العالمية، وعمل في المحاماة، ومارس العمل السياسي، وتنقل بين البلاد العربية والأوروبية، وانتخب عضوًا في المجمع العلمي العربي في دمشق.

ولكن كان لكلٍّ منهما ملامحه الخاصة، فعبدالله الفرج تفتح وعيه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث كانت الغلبة في الجزيرة العربية للشعر العامي (النبطي)، فاستخدم اللهجة الشعبية في قصائده وإن لم يتخلَّ عن اللغة الفصحى، ولكن شعره الفصيح ضاع معظمه ولم يبق منه إلا القليل، وقد استطاع عبدالله الفرج بإحساسه المرهف أن يرتفع باللغة المحكية من مستواها الوظيفي المألوف إلى لغة جمالية تثير في النفس الدهشة والإعجاب، وإذا كان الفرج في الشعر الشعبي لا يعد رائدًا، فإنه استحق الريادة في فن آخر وثيق الصلة بالشعر هو الموسيقا، فقد درس الموسيقا على أصولها الحديثة في الهند، وأغرم بهذا الفن وأبدع الكثير من الألحان حتى عُدَّ الرائد الموسيقي الأول للغناء في الخليج العربي،

فهو مؤسس أغاني الصوت الكويتي، والمطور الأول – بعد مؤسس الفن اللعبوني الشاعر محمد بن لعبون – لأغاني الخماري والسامري، وإلى جانب الشعر والموسيقا فقد كانت له مواهب في النحت والرسم والخط العربي، أي أنه كان فنانًا شاملاً.

أما شاعرنا الهاشمي أمين نخلة فقد عشق اللغة العربية وغاص في بحارها العميقة حتى أدرك أسرارها وخفاياها، وأصبحت اللغة هاجسه الأول، وعشق الطبيعة الريفية بكل تفاصيلها وأصبحت ذاته الثانية، ثم فاجأ قراءه في شعره ونثره بما تختزنه اللغة العربية من كنوز لم يلتفت إليها أبناؤها، وأبهر الجميع بمزايا اللغة العربية من سعة وغنى عندما تحولت كلمات اللغة بين يديه إلى معزف تنطلق منه النغمات المطربة، وإلى معرض يحفل بالصور المدهشة، وإلى متجر يكتظ بالجواهر النفيسة، وفي الوقت الذي كان البعض يشكك بصلاحية اللغة العربية للعصر الحديث كان بيان أمين نخلة الرد الوافي على أن اللغة العربية ما زالت هي اللغة الأكثر جمالاً والأوسع ثراءً والأدق تعبيرًا، وارتفع أمين نخلة بالنثر إلى مقام الشعر، فالمفكرة الريفية تعد من أجمل ما خطّهُ قلم كاتب في النثر العربي، وتذكرنا بالنثر العربي في أزهى صوره، نثر الجاحظ والتوحيدي.

وقد استحال الريف في هذه المفكرة إلى متحف يعجُّ بالعجائب ، كلُّ كائن في هذه الطبيعة أرضًا ونباتًا وحيوانًا يتكلم ويفصح عن مخزن من الحقائق غفلنا عنها، وإذا بأمين نخلة وقد أزاح عن أعيننا غطاءها وعن عقولنا أقفالها ينفذ بنا إلى عالم داخلي خلاب، تمتزج فيه رقة الجمال بصلابة الحكمة.

هذان شاعران يستحقان منا في ذكراهما المئوية وقفة إجلال وتقدير اعترافًا بما قدماه لأمتهما من زاد ثقافي تزداد به الأمة شموخًا وثراءً، ونحن في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري إذ نتابع مسيرتنا في تكريم الشعراء العرب ونشر نتاجهم استمساكًا بقيمة من أبرز قيم الأجداد وهي«الوفاء» نأمل أن نفي هؤلاء العظماء بعض حقوقهم علينا، وسنكون بذلك في غاية السعادة.

للسادة الذين شرفونا بحضورهم من الأقطار العربية ومن الكويت، كلّ شكرنا على إنعامهم علينا بإتمام هذا اللقاء المثمر، وللشاعرين الكبيرين عبدالله الفرج وأمين نخلة المجد والخلود، وشكرنا وتقديرنا جميعا لمعالي راعي الحفل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

كلمة معالي الشيخ أحمد الفهد الأحمد الصباح

وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

أيها الحفل الكريم

إن من دواعي سروري أن أكون بينكم وأن أفتتح احتفالية «مئوية الرحيل والميلاد» احتفاءً باثنين من أعلام الأدب العربي اقترن اسماهما في العام ١٩٠١م حيث رحل عن عالمنا الشاعر العربي الكويتي الموسيقي الكبير عبدالله الفرج وفي ذات العام ولد الشاعر العربي اللبناني الكبير أمين نخلة.. وإني أحيي حضوركم جميعًا - وخاصة إخوتنا الذين قدموا من مختلف أنحاء الوطن العربي الكبير بما تجشموه من عناء السفر، وأعده وفاءً لذكرى الاثنين واحترامًا للشعر وللفن الأصيل - كما أحيِّي مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري التي تفخر بها الكويت لأنها استنّت هذه السنة الحميدة بالاحتفاء بأعلام الشعر العربي، ونظّمت وأنفقت وبذلت جهدًا كبيرًا ليكون هذا الاحتفاء لائقًا بحضراتكم وبالشعر العربي وبهذين العلمين الكبيرين، وإني أغتنم الفرصة لأحدثكم عن أثر عبدالله الفرج وتأثيره، فقد كان شاعرًا نبطيًا مرموقًا وشاعرًا فصيحًا نشر في «جوائب» أحمد فارس الشدياق في القرن التاسع عشر لكن شعره الفصيح ضاع بكل أسف ولم يعرف له إلا القليل مما كتب، أما شعره النبطي البديع فقد حفظه لنا قريبه شاعر الكويت الكبير خالد الفرج وأصدره في طبعته الأولى في الهند عام ١٩١٩ وطبعته الثانية في دمشق عام ١٩٥٢ وقد وعد في هذه الطبعة بإصدار الجزء الثاني الذي يتضمن شعره الفصيح لكنه توفي عام ١٩٥٤ ولم يكمل ما بدأه عندما فقدت مع الأسف الشديد كل مقتنياته من مخطوطات عبدالله الفرج. لكن الجانب المضيء والمهم من عبدالله الفرج.. هو الجانب الموسيقي كونه الرائد الأول لفن الصوت في منطقة الخليج العربي حيث ابتكر وأسّس هذا الفن الشائع الآن والمنتشر والمليء بالبهجة. أما الشاعر العذب أمين نخلة

فإنكم أدرى مني بقيمته الفنية العالية .. أغتنم الفرصة لأحيي نجله المحامي الأستاذ سعيد أمين نخلة وقرينته وهما بيننا الآن كما أحيي السيدين الفاضلين محمد وعلي ابني خالد الفرج.

أيها الحفل الكريم..

إن الاحتفاء بالثقافة ورجالها من الأدباء والفنانين والكتاب أمر مطلوب ومرغوب وإن السيد عبدالعزيز سعود البابطين قد سار في ذلك سير أسلافنا العظام من الخلفاء والملوك والأمراء والوجهاء الذين يميزون كبار المثقفين ويجيزونهم الجوائز السنية، وبذلك ازدهرت الثقافة والآداب العربية، وتواصلت حتى يومنا هذا، فشكرًا لك يا أبا سعود ولمؤسستك الرائدة وكثّر الله من أمثالك لكي تزدهر الثقافة وتعم أرجاء وطننا العربي الكبير، حيث إنها رصيدنا الأقوى الذي يجمع ولا يفرق .. فالثقافة العربية ملكنا جميعًا بها نفاخر ونتوحد ولا نختلف، وإذا كانت السياسة تقتضي أحيانًا شدّاً وجذبًا، فالثقافة حتى في صراعاتها تمثل دليلاً على حيوية الأمة وقدرتها على التماسك والاتفاق.

أهلاً بكم أيها الإخوة في وطنكم وبين أهليكم، وأرجو أن تقضوا أيامًا جميلة وممتعة في رحاب الكويت التي تفتح لكم ذراعيها بالود كما كانت دومًا مع كل عربي، وإنني أعبّر عن كلّ الكويتيين الحاضرين معكم في هذه القاعة حين أردد قول الشاعر العربي:

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا
نحن الضيوف وأنت رب المنزل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

****

الـــــدورة الثامنة

«دورة علي بن المقرب العيوني وإبراهيم طوقان»

١ - ٣ أكتوبر ٢٠٠٢

المنامة / مملكة البحرين

برعـــايـــة

صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة

ملك مملكة البحرين

وحضـــور

سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة

ولي العهد نائب القائد الأعلى

كلمـــة

الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)

رئيس المؤسسـة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، ولي العهد، القائد العام لقوة دفاع البحرين، نائب راعي الحفل، حضرة صاحب العظمة حمد بن عيسى آل خليفة، ملك مملكة البحرين.

صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز آل سعود.

معالي الشيخ عبدالله بن زايد.

أصحاب السعادة الشيوخ والوزراء..

الإخوة الأفاضل أمين عام وأعضاء المجمع الثقافي العربي.

الأخواتُ والإخوة المشاركون والضيوف..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أود ونحن نقف على أرض البحرين الطاهرة، وفي عهد ملك شاب فتح آفاقَ المستقبل أمام شعبه، فتفتّحت له القلوب، وجَمع له شوارد المنى فتجمّعت حوله العزائم، وبحضور ثلة من مثقفي الوطن العربي وشعرائه توافدوا من كل بقاع العروبة بعد أن كابدوا وعثاءَ السفر، يجمعهم نداء الكلمة الشعرية، الكلمةِ التي تَعبر كلَّ الحدود دون جوازِ سفر، وتأنس إلى قبسها أبصارُ العرب وبصائرهم.

ويطيب لي أن أشكرَ باسمكم جميعاً صاحبَ العظمة ملكَ البحرين على تفضله برعاية هذا الحفل، وعلى إنابته سمو ولي العهد ليشرفنا بافتتاح هذه الدورة الثامنة، وأن أُحيّي

(*) أقيم حفل افتتاح الدورة الثامنة للمؤسسة بفندق الخليج في المنامة بمملكة البحرين بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠٢م بالتعاون مع وزارة الإعلام البحرينية.

هذا البلدَ الكريم، بلدَ الأشرعةِ التي رَوّضت البحر بكل جبروته، بلد الغاصة الذين فكّوا بجسارتهم طلاسمَ هذا البحر وامتلكوا كلمةَ السرّ التي فتحت لهم أبوابَ كنوزه، هذا البلد الذي رابط على خاصرة الوطن العربي الشرقية يدفعُ عنه الشرَّ عبر التاريخ، وظَلّ على مرّ الأيام عربيَّ الوجه واليد واللسان.

واسمحوا لي أن أوجه تحيةً خاصة باسم بلدي الكويت إلى شقيقته البحرين، ونحن صنوان من نخلة واحدة تَوزّعا في قطرين عربيين، وتجرعنا معاً الأيامَ الصعبة، أيامَ الصَّبُر والصَّبْر، وعندما ابتسم لنا الزمن اقتسمنا بسمتَنا مع كل محزونٍ في وطننا العربي الكبير.

نجتمع اليوم في رحاب هذا البلد الأصيل في دورة ثامنة من دورات مؤسستنا، وأشعر ويشعر معي كلُّ مدعوٍّ أنه في بلده وبين أهله، هكذا كان شعورُنا ونحن ننتقل من القاهرة إلى فاس، ومن أبو ظبي إلى بيروت وإلى الجزائر، كنا ننتقل من بلدنا إلى بلدنا، وكان دفءُ المحبّة يغمرنا بحيث ننسى متاعب هذا الانتقال.

وعندما نلقي نظرة إلى الوراء إلى ثلاثة عشر عاماً من عمر المؤسسة يتوزّعُنا إحساسان: الرضا عما قمنا به لأن رياح الزمن كانت تدفع سفينتنا إلى الأمام، والتشوّقُ إلى مرافئَ جديدةٍ أبعدَ من أحلامنا.

لم تكن المؤسسةُ مشروعاً فردياً وإن بدأ كخاطر في مخيلة فرد، ولم يكن عملاً إقليمياً وإن انطلق من بلد عربي معين، ولم يقصد به مُجرّدَ عملٍ ثقافي وإن كان هذا طابعَه الظاهر.

لقد كان المشهدُ العربي البائس يدمي العيونَ والقلوب، كان الاحترابُ السياسي قد أعاد العربَ إلى عهد القبائلِ وإن بصورة جديدة، وكنا نبحث عن كيفية النهوض من الرماد، وكان أمامنا بابٌ وحيد ننفذ منه من هذا الحصار الخانق، وهو بابُ الثقافة، واخترنا من حزمة الثقافة أصلبَ أعوادها وأكثرَها مرونة: الشعرَ، هذا الفضاءُ الرحب الذي وسع في شفافية ونفاذ كل الأزمنة والأمكنة العربية، الفنُّ الذي نسجتْ الذاكرةُ العربية منه أحلى قسماتِها، والعدسةَ التي تلتقط ذبذباتِ الروح، وتَنفُّسَ الصبح، ونَأَماتِ الضمير.

وإذا كان الشعر بدأ حداءً للإبل ثم أصبح حداءً للإنسان في مساراته العنيدة التي تتطلب منه التغلبَ على رخاوة النفس وعلى قسوة الظروف، فإن هذا الحداء الجميل والحازم هو ما يلزمنا الآن ليكونَ النفيرَ الذي يجمع المثقفين العرب على اختلاف توجهاتهم ليصبحوا نواةً صلبة لأي تجمع عربي، ولقد حرصنا منذ الخطوة الأولى أن يأخذَ عملُنا طابعَه القومي، فانطلقت المؤسسة من عاصمة العرب: القاهرة، وأنشأتْ مكاتبَ لها تغطي الأقاليمَ العربية، وفتحت صدرَها للمثقفين والشعراءِ العرب على امتداد الأرض العربية وخارجها.

كانت الخطوةُ الأولى في مسيرتنا تكريمَ المتميزين من الشعراء والنقاد، ونحن في ذلك نُحْيي سنّةً سار عليها أسلافُنا العظام منذ عهد القبيلة إلى عهد الدولةِ الإقليمية الحديثة، كُرِّمَ الشاعرُ سابقاً لأنه صوتُ القبيلةِ والمتحدّثُ بلسان الأرواح الخفيّة، وكُرِّمَ الشاعرُ حديثاً لأنه صوتُ الشعبِ والمتحدّثُ بلسان الغيبِ البشري، وفي العهدين لم يكن صوتُ الشاعر فرديّاً بل كان يستبطن في صوته ما تضمره الجماعة، ولن ننسى في هذا المقام تكريمَ أميرِ البحرين المغفور له الشيخ عيسى بن علي لأمير شعراء العرب أحمد شوقي عندما أهداه في حفلة تكريمه عام ١٩٢٧ نخلةً من الذهب مرصّعةً بثمار من اللؤلؤ، وقدم الهديةَ باسم البحرين الشاعرُ الكويتي/ البحريني السعودي خالد الفرج، وها نحن نجتمع اليومَ من كل قطر عربي لتكريم نخبةٍ من المبدعين، على رأسهم شاعر البحرين الكبير إبراهيم العريض، ونستظلّ جميعاً بخيمة هذا الشاعر الذي أعطى الشعر حياتَه المديدة، وكم كنا نتمنى أن يكونَ معنا ليرى ثمرةَ كفاحه وإبداعه، ولكنّ القدرَ الذي حرمنا من وجوده ساعدنا كي لا نحرم من خلوده.

وكانت الخطوةُ الثانية للمؤسسة اختيارَ شاعرٍ كبير ليكون محوراً للدورة، بحيث تنشر المؤسسةُ نتاجَه الأدبي، وتكلف عدداً من الباحثين القيامَ بأبحاث عن حياته وشعره، بدأنا بمحمود سامي البارودي رائدِ النهضة الشعرية الحديثة مروراً بأبي القاسم الشابي وأحمد العدواني والأخطل الصغير وأبي فراس الحمداني وعبدالقادر الجزائري.

وفي هذه الدورة كان محورُها الشاعرَ الكبير علي بن المقرب العيوني، مع احتفاء خاص بشاعر فلسطين إبراهيم طوقان.

ولا يخفى عليكم أننا بهذا الاختيار جمعنا بين زمنين: العصر الوسيط والحاضرِ القريب، وبين مكانين: البحرين في أقصى الشرق، وفلسطينَ في الوسط لنبرهنَ أن الأزمنةَ العربية زمنٌ واحد، وأن الأمكنةَ العربية مكانٌ واحد.

وإذا كنا في اختيار ابن المقرب العيوني أردنا أن ننصفَ هذه المنطقة التي تغافلَ عنها المؤرخون، فقد قصدنا باختيار إبراهيم طوقان أن لا نكتفي بتوجيه تحيّة إلى شعبنا الفلسطيني وانتفاضته المباركة كما يفعل الغرباء، بل أردنا أن نؤكّدَ أن الجرح الفلسطيني هو جرحُنا، وأننا سنبقى مستعبدين ما دام الاحتلالُ يجثم على أي قطعة من فلسطين، ففلسطينُ ليست مجرّدَ بقعة صغيرة من وطننا العربي الكبير بل هي شرفُنا وطهارتنا، والشرفُ لا يمكن أن يكونَ محلَّ مساومةٍ أو قسمة.

وإذا كان الشاعران قد اختلفا زماناً ومكاناً فقد كانا في موقف واحد، كانا شاهدين على تآكل الوضع العربي، وكانا نذيرين بالفاجعة القريبة، فاجعة انهيار الدولة العيونية وسقوط بغداد العاصمة الحضارية للعرب بعد ربع قرن من وفاة العيوني، وفاجعةِ سقوط القدسِ العاصمة المقدسة للمسلمين بعد سنواتٍ من وفاة إبراهيم طوقان.

ونشعر بالغبطة لأننا أخرجنا في هذه الدورة ثلاثةَ دواوينَ تضمّنتْ قصائدَ لم يسبق نشرُها في أي طبعة سابقة وهي للشعراء: علي بن المقرب العيوني، حيث حصلنا على أكثر من (٨٠٠) بيت كانت مطمورة طيلة تسعمائة سنة الماضية وهذا يعتبر إنجازاً كبيراً للمتلقي العربي، وأبي البحر الخطي، وإبراهيم طوقان، كل حصلنا على قصائد لم يسبق أن نشرت لهم، وعشرةً من كتب الدراسات بمجموع صفحات يزيد على ستة آلافِ صفحة، وتمكّنا من إنجاز الطبعة الثانية لمعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين في سبعة مجلدات وبمجموع صفحات قدرُها خمسةُ آلاف وخمسمائة وعشرون صفحة، وعلى هذا يصبح مجموع إصداراتنا لهذه الدورة حوالي اثنتي عشرة ألف صفحة.

ولم يكن ذلك ليتمَّ لولا تضافرُ كوكبة من الباحثين العرب معنا، استفردوا بالتعب والعناء وشاركونا الأملَ والطموح فاستحقّوا من القراء العرب أجملَ الثناء.

وإذا كان الرضا التام في بعض جوانبه نوعاً من العجز، فإننا لن نشعرَ بالرضا التام عن عملنا، بل نؤمن أن ما وصلنا إليه هو مرحلة على خط سيرٍ طويل سنواصل التقدّمَ عليه، تأديةً لواجب علينا تجاهَ أمة خانتها الظروفُ وقصّرَ بحقها الأبناء، فلم تتسنّمْ مقعدَها الملائمَ في مركبة التاريخ.

أيها الكرام..

إنني أهيب بالشعراء العرب، بكم أنتم يا ضمير الأمة أن لا تنسَوْا إخوانكم من أسرى الكويت في سجون العراق، وأن تساهموا بقصائدكم وبمشاعركم في تصوير معاناتهم والدعوةِ إلى إطلاق سراحهم، وخلاصهم من تلك السجون البغيضة.

وأختم كلمتي بتجديد التحيةِ والشكر لعظمة ملك البحرين ملكِ الأمل والعمل، ولولي عهده الأمين، ولهذا البلد المضياف بلد النخيل والبحر واللؤلؤ، بلد إبراهيم العريض، ولكلّ من شاركنا في هذا اللقاء.

ودعاء إلى الله أن يحفظ هذا البلد ومليكه وشعبه من كل مكروه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

*****

كلمة معالي السيد نبيل الحمر
وزير الإعلام في مملكة البحرين



صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين ممثل سيدي حضرة صاحب العظمة الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ملك البلاد المفدى حفظه الله

الأخ الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين رئيس مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

أصحاب السمو

أصحاب السعادة

ضيوفنا الكرام

أيها السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إن عطاء السنين لا يقاس بالبعد الزمني فقط، وإنما يقاس بالإنجاز كماً وكيفاً، فمنذ الانطلاقة الأولى في عام ١٩٨٩ لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، والمؤسسة بجهود الأخ العزيز عبدالعزيز سعود البابطين ومجلس الأمناء تحقق إنجازاً بعد إنجاز في مشرق الوطن العربي ومغربه، شماله وجنوبه، بل إن هذا الإنجاز شمل في ما شمل بعض بلدان عالمنا الإسلامي الرحب.

وإننا اليوم في مملكة البحرين وبرعاية كريمة من حضرة صاحب العظمة الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى حفظه الله، وبدعم من سيدي صاحب السمو

الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر، ومؤازرة صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد القائد العام لقوة الدفاع ، نستضيف هذه الدورة من أعمال الجائزة لنؤكد بأن هذه المملكة التي احتضنت عبر تاريخها الطويل الإبداع والمبدعين، وبرز على أرضها العطاء الإنساني في أسمى معانيه وقيمه، وبرزت في أرضها قمم في الأدب والشعر والنثر، وارتبطت أسماء هؤلاء بالمبدعين في الجزيرة العربية وبقية البلدان العربية والإسلامية فنسجت في تناغم وتلاحم ملحمة العطاء والإبداع الإنساني، وها نحن اليوم نلتقي في بلاد تشهد نهضة حضارية وإشراقة عصرية يقودها نحو مراقي التقدم والديمقراطية والحرية والمشروع الإصلاحي الكبير عظمة الملك المفدى حفظه الله، ويستهدف خير هذه البلاد وشعبها وشعوب أمتها العربية والإسلامية، فمرحباً بالمبدعين في وطننا العربي والإسلامي ومرحباً برجال الفكر والأدب والثقافة، ونشعر بأننا في حضرة المبدعين نحتفي بالثقافة والفكر، ونجدد الدور الذي لعبه قادة الرأي في التقريب بين الشعوب وأرسوا وأسسوا وجدان الأمة ثقافياً وحضارياً وهم في تواصلهم يرسمون مستقبل الأمة، ويرسون دعائم أركان الأوطان.

إن اختيار مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري موضوع الآثار الشعرية لشاعر البحرين والجزيرة العربية علي بن المقرب العيوني ودراسة حياته وإبداعه يضيف الكثير لجهود هذه المؤسسة التي تسعى بجهد مقدر ومشهود إلى استكمال المشروع الثقافي الشامل الذي تستهدفه المؤسسة وتسخر الإمكانات المادية والبشرية له.

ونحن إذ نقدر جهود مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على هذا الإنجاز الكبير، نحيي فيها اختيار البحرين لإقامة هذه الدورة فيها، ونؤكد بأننا في وزارة الإعلام ندعم هذه المشروع الثقافي، ونؤكد استعدادنا التام للتعاون مع مؤسس هذه الجائزة الأخ عبدالعزيز سعود البابطين، ومجلس أمناء الجائزة لما يحقق مستقبل الثقافة في وطننا العربي والإسلامي.

وإننا في الوقت الذي نشيد باختيار هذه المؤسسة الفاضلة الشاعر علي بن المقرب العيوني موضوعاً لدورتها الثامنة، فإن هذه الدورة تكرم أحد أعمدة الثقافة والأدب والشعر

والنقد في البحرين ألا وهو شاعر البحرين وابنها البار المغفور له بإذن الله تعالى إبراهيم عبدالحسين العريّض رحمه الله . فهذا التكريم لشاعر البحرين وأديبها إنما يؤكد ريادة هذا الأديب الكبير في مجال الأدب والفكر والثقافة، وكان رحمه الله قد أُبلغ بهذا التكريم قبيل وفاته فأكبر هذا التكريم في شخصه، وفي المجال الإبداعي والأدبي، فرحم الله إبراهيم العريض وأسكنه فسيح جناته.

كما أن هذه الدورة تكرم شاعر العربية إبراهيم طوقان الذي أسهم إسهاماً كبيراً في حركة الشعر العربي وكان لصدى كلماته الأثر الكبير في الاهتمام بالقضية الفلسطينية وبنضال الشعب الفلسطيني الباسل، وكأننا اليوم نقول بأنه مثلما عاشت هذه القضية في وجدان إبراهيم طوقان فهي قد عاشت في وجدان شاعر البحرين الراحل إبراهيم العريض، فنظم ملحمته الشعرية المشهورة «أرض الشهداء».

وإنها لمناسبة أن نذكر لهذين الشاعرين: إبراهيم العريض، وإبراهيم طوقان إبداعهما الشعري المتميز الذي وحد الأمة العربية شعراً وفنّاً وأدباً في قضية العرب الأولى، قضية فلسطين والشعب العربي الفلسطيني، ونذكر إسهامهما في إثراء مرحلة مهمة في حركة الشعر العربي المعاصر ما زالت تأثيراتها كبيرة وواسعة.

أصحاب السمو....

أصحاب السعادة....

أيها السيدات والسادة..

إن فرحتنا بكم كبيرة وبلدكم البحرين أسعدها هذا التواجد الكبير، وأؤكد لكم بأن فرحة مبدعي هذا الوطن ومثقفيه تعدل فرحتكم باللقاء.

أتمنى لكم طيب الإقامة ولدورتكم النجاح والتوفيق، ولمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري دوام التألق والنماء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

الـــــدورة التاسعة
«دورة ابن زيـــدون»
٤ - ٨ أكتوبر ٢٠٠٤
قرطبة / مملكة إسبانيا

برعـــايـــة

جلالة الملك خوان كارلوس

ملك إسبانيا

وحضـــور

سمو الأميرة «إيلينا» كريمة العاهل الإسباني

كلمـــة
الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)
رئيس المؤسســة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم . ولا الضالين . آمين﴾

صاحبة السمو الملكي الأميرة إيلينا.
صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز.
فضيلة الشيخ علي جمعة مفتي جمهورية مصر العربية.
السيد محمد أبطحي مساعد رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
دولة الرئيس أحمد حاجيباشيتش رئيس وزراء البوسنة.
معالي الدكتور رشيد الحمد وزير التربية والتعليم العالي بدولة الكويت.
سعادة الدكتور يوسف مؤنس ممثل غبطة البطرك صفير.
سعادة الدكتور الشيخ إبراهيم الدعيج الصباح الذي آخى منذ ثلاث سنوات مع زميله بقرطبة بين قرطبة ومحافظة الفروانية.
أصحاب السعادة الوزراء والسفراء.
أيها السادة المدعوون
أيها الحضور الكرام

يشرفني في افتتاح هذا المهرجان الثقافي أن أشكر جلالة ملك إسبانيا المعظم خوان كارلوس على رعايته الكريمة لدورة «ابن زيدون» ولسمو الأميرة على تفضلها

(*) أقيم حفل افتتاح الدورة التاسعة للمؤسسة على مسرح السكن الجامعي بجامعة قرطبة بمملكة إسبانيا الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ٤ أكتوبر ٢٠٠٤م. بالتعاون مع جامعة قرطبة.

وحضورها الحفل نيابة عن والدها، كما أتوجه بالشكر الجزيل للشعب الإسباني العظيم وحكومته الرشيدة الذي أظهر خلال العديد من المناسبات معاضدته للأمة العربية في قضاياها العادلة.

ومن هذا الحرم العلمي الرصين حرم جامعة قرطبة أوجه التحية لهذه الجامعة العريقة التي بادرت بأريحية رائعة فشاطرتنا أعباء هذه الدورة، ومنحتنا كل أشكال المؤازرة لكي تنعم هذه الدورة ببهجة النجاح، وهي بذلك تؤكد التقاليد الرفيعة التي نظمت مسيرتها وهي أن ثقافة أي بلد هي إرث إنساني عام.

ولا أخفيكم ما أشعر به من سعادة غامرة كعربي وكمسلم وأنا وسط حشد كبير تعددت قومياته، وتنوعت أديانه ومذاهبه، وتغايرت لغاته، ومع هذا التنوع الكبير فقد التقينا كأصدقاء في صعيد واحد، صعيد هذه المدينة التاريخية الخالدة قرطبة عاصمة الأندلس، يجمعنا في إضمامة واحدة هدفان:

الأول: الاحتفاء بشاعر كبير أنجبته هذه المدينة منذ عشرة قرون، وما زالت قصائده تبعث في نفس قارئها النشوة والغبطة، والآخر: هو التأكيد على أن البشرية على تنوع منطلقاتها جسد واحد يرقى بعافية أعضائه، ويشقى باعتلال أي عضو فيه.

وقد اخترنا هذه المدينة لتكون مسرحًا لهذا اللقاء لأنها كانت خلال ستة قرون بوتقة للتعايش الإنساني، فرغم أن الطابع العام للأندلس كان عربيّاً مسلمًا، ولكن تحت هذه العباءة الفضفاضة تساكنت شعوب من ثلاث قارات، وتجاورت الديانات السماوية الثلاث، وتراصفت ثلاث لغات متباينة، وقد شارك هذا الطيف بكل ألوانه في بناء حضارة باهرة ظلت خلال قرون محور جذب وتنوير في عموم أوروبا، واستطاع هذا الطيف أن يرتقي بقرطبة من مدينة صغيرة متوارية إلى أن أصبحت أعظم وأزهى مدينة في أوروبا في العصر الوسيط.

هذا التعايش بين المختلفين جنسًا وديانةً ولغةً والذي، جسّدته الأندلس ولقرون عديدة كان ظاهرة فريدة في العصور الوسطى، وكان وراء استمرار هذا التعايش خصلة سامية هي خصلة التسامح، التسامح الذي ينبع من الاعتراف بالآخر المختلف والانفتاح عليه والتفاعل معه.

ولعلّ الذي منح الأندلس هذه الحيوية الفائقة، والرقي الحضاري الفريد، والازدهار في جميع المجالات هو وجود هذا التنوع المتآلف بين مكونات هذا البلد؛ البشرية والثقافية.

وإذ نقف أمام صفحات هذا الماضي الرائع فليس القصد اجترار الماضي، إنما الغاية أن نقبس من مزاياه ما نضيء به حاضرنا، ونحن بأمس الحاجة أن نستعير من الأندلس فضيلة «التسامح» في هذا العصر الحافل بالاضطراب.

إن الخطيئة الكبرى – لا الخطأ – الذي ترتكبه أي مجموعة بشرية هو اعتقادها أنها تملك الحقيقة المطلقة، ومن هذه العقيدة المدمرة التي تؤسس للانغلاق والاستعلاء توالدت كل الشرور التي عرفها العصر البشري من الرق والتمييز العنصري والإبادة الجماعية والحروب العمياء والاستعمار.

وإذا كانت هناك فئات في مختلف الأديان ما تزال تتبنى هذه العقيدة فإن هدف اجتماعنا الأساسي – ونحن نمثل كل مكونات المجتمع البشري – نفي هذه العقيدة المنحرفة، والتحذير من السقوط في فخاخها.

إن إيماننا المشترك هو الاعتراف بأن التنوع والاختلاف ضرورة لا غنى عنها لازدهار البشرية وسعادتها، فلا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة، الحقيقة المطلقة الوحيدة أن البشر سواء، ولدوا أحرارًا ومن حقهم أن يختاروا بإرادتهم مسيرة حياتهم، وأن يتنافسوا في ميدان العمل، ويتحاوروا في ميدان الرأي، وأن يبقى هذا التنافس وهذا الحوار في دائرة التفاعل لا التناقض والصراع.

ونحن في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وهي من مؤسسات المجتمع المدني، كان مطمحنا – ونحن نخطو أولى خطواتنا منذ عقد ونصف من الزمن – أن نتحرر من التحيزات السياسية والمذهبية التي تمزق النسيج الاجتماعي، وأن نجعل من المؤسسة ساحة يتجاذب فيها المثقفون العرب على اختلاف اتجاهاتهم أطراف الحوار للنهوض بالشعر العربي وبالثقافة العربية، وقد استطعنا أن نتجاوز الجدران العازلة لنقيم لحمة ثقافية تؤسس للحمة سياسية مستقبلاً.

ولم نقتنع بالعمل داخل الإطار العربي، بل تطلعنا إلى أن نمدّ الجسور مع ثقافات نسجت معنا خيوط الماضي، فأقمنا ملتقى سعدي الشيرازي في طهران عام ٢٠٠٠ لنجدد الصلة بالثقافة الفارسية، وها نحن نختار قرطبة عاصمة الأندلس مقرًا لدورة ابن زيدون لكي نعيد التلاحم مع الثقافة الإسبانية.

ونحن نؤمن بأن الثقافة المنعزلة هي ثقافة متكلسة، وأن الانفتاح على تجليات الموهبة لدى الآخر هو الذي يجدد دماء الثقافة ويرتقي بها في مدارج الإبداع.

ولا بدّ لي في ختام كلمتي أنا القادم من بلدي دولة الكويت أقصى بلاد العرب شرقًا، أن أقدم شكرًا مضاعفًا لرئيسة بلدية قرطبة التي أتاحت لنا فرصة عقد هذا اللقاء في هذه المدينة الأثيرة إلى نفوسنا، ولم تبخل علينا بكل ما يساعد على إنجاح مهمتنا، والشكر الجزيل للمدعوين الذين تحملوا عناء السفر وآثرونا بوقتهم وغمرونا بأنسهم لكي يؤكدوا معنا على وحدة مصير البشرية.

وإذا كان ابن زيدون مَعْلمًا للحبّ الخالص، وقرطبة الأندلسية معلمًا للتسامح والانفتاح فإنني أستأذنكم من موقعي هذا بأن أنهي كلمتي ببيت من الشعر للصوفي الأندلسي ابن عربي:

أدين بدين الحبّ أنّى توجّهتْ
ركائبُه فالحبُّ ديني وإيماني

وأن أختمها بآيات من القرآن الكريم هي صوت الحق إلى البشر كافة: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾ وقوله تعالى﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

كلمة السيدة روسا أغيلار
عمدة مدينة قرطبة

سمو الأميرة..

سيادة دوق لوغو..

معالي وزيرة الثقافة.

معالي رئيس جامعة قرطبة.

السيد رئيس مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

سعادة المستشارة الثقافية.

السيد أمين عام المؤسسة.

السيدات والسادة..

أود أن أوجه جزيل الشكر لسمو الأميرة «إيلينا» على مشاركتها في هذا اللقاء الذي تجسّد فيه الشعور فأصبح شعرًا، والذي يحمل اسم شاعر عالمي وصلت إلينا أشعاره مليئة بالحياة.

وأوجه الشكر للقصر الملكي الذي ساندنا على إنجاز هذه المناسبة المفعمة بالخير للإنسانية وللشعر كذلك.

سمو الأميرة.. جزيل الشكر إلى جلالة الملك.. وأهلاً وسهلاً بك في هذه المدينة التي تقع في قلب الأندلس التي تود أن تلازمك روحها الممتلئة بالحياة.

ثم أوجه الشكر لكل من شاركنا هذا الاحتفال وهذه اللحظات المشهودة، الذين جاءوا من الكويت وإيران والسودان وسورية ومصر والبوسنة والمغرب ومن أماكن أخرى من كل أنحاء العالم.

نرحب بكم هذا المساء والذي يصل فيه إلينا شعر ابن زيدون عبر الأزمنة متجاوزًا للقرون.. اليوم سحر الحب والجمال الذي تجسّد في شعره الذي يُستحضر بفضل الدورة التاسعة لمؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري.

إنه لشرف لقرطبة كلها، ولي شخصيًا كرئيسة لبلدية المدينة أن يقترن اسم مدينتنا بهذه الجائزة المميزة، ذلك لأني أعلم أن صوت شاعرنا لا يزال حيًا ونابضًا في القلوب، ولا يزال حيًا في ذلك العالم المشترك الذي نسميه الشعر.

شكرًا لكم لأنكم بهذه الجائزة ساهمتم في إحياء ذكريات عزيزة، وجعلتم حبّ ابن زيدون لولادة وعاطفته التي كانت تجيش بداخله نحو قرطبة، تجريان من جديد بين جدران مدينة الزهراء العزيزة عليه والتي تغنت بجمال أبياته:

ألا هلْ إلى (الزهراءِ) أوْبَةُ نازحٍ
تقصَّى تنائيها مدامعَهُ نَزْحا
مقاصيرُ مُلْكٍ أشْرقَتْ جَنَباتُها
فخِلْنا العِشاءَ الجَوْنَ أثناءَها صُبحا

الآن وفي هذا المساء، تعودون للاستمتاع بتألق قرطبة، هذه المدينة التي قال عنها الشاعر «لها نفس روح الرياحين»، أتمنى أن تتحول رغبتكم في الحوار إلى حقيقة، وأن يساهم صوتكم في جمع أرواح الشعوب في طريق واحد للبحث عن السلام في هذه الأيام التي يسيطر فيها الألم والتعصب والعذاب والتصادم على أجزاء كثيرة من العالم، فنحن جميعًا رجالاً ونساءً أبناء البشرية التي تنشد السلام والتفاهم، تنشد عالمًا لنا جميعًا، عالمًا أفضل يمد الناس فيه أيديهم للوفاق، تنشد قلوبًا مفتوحة للسلام مغلقة أمام البغض والحروب والتعصب.

قرطبة اليوم تسعى معكم على أن تجعلوا من الشعر أداة حوار، قرطبة الميراث البشري، قرطبة التي كانت تحتض الأديان والثقافات المختلفة، تسعى معكم أن تكون مثالاً للتعايش حيث الكلمة تكون كالهواء النقي في مدينتنا، الهواء الذي يقربنا ويجمعنا.

أؤمن بلغة الإنسانية المشتركة، لغة الجمال والرقة، اللغة التي تكسر الحواجز وتحطم جدران الكراهية، هذه اللغة هي الشعر، الشعر الذي يجول في عروق التاريخ.

وإنني أناشد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تواصل مسيرتها في العمل من أجل الشعر ومن أجل التفاهم والتعاون بين الشعوب، واعلموا أنّ هناك من الرجال والنساء من سيمد يده إليكم ويشارككم أحلامكم وتطلعاتكم، وقرطبة ستبحث معكم عن السلام والحوار.

أستأذنكم في أن أختتم كلمتي ببعض الأبيات الشعرية التي كتبها ابن زيدون تغزلاً بولادة وإيصالها إليكم باسم قرطبة، وفي ذكرى الأشخاص الذين مهما طواهم البعد، سيكونون لقرطبة، سيكونون من هذه المدينة:

لا تحسبوا نأيُكُمْ عَنَّا يغَيِّرُنَا

أنْ طالما غيَّر النَّأْيُ المُحِبّينا

والله ما طلبتْ أهواؤنا بدلاً

عنكمْ، ولا انصرفتْ عنكمْ أمانينا

أقدّم أحر التهاني إلى الأشخاص الذين حصلوا على الجائزة التي تتشرف بها قرطبة... تهانينا.

واعملوا على أن تكون الكلمة أداة سلام... سلام.

****

كلمة البروفسور أوخينيو دومينغث فيلتشيس
رئيس جامعة قرطبة

«سمو الأميرة، سيادة دوق لوغو، معالي وزيرة الثقافة، السيدة عمدة قرطبة، السيد رئيس مؤسسة جائزة البابطين، السيد الأمين العام، السيدات والسادة:

باسم جامعة قرطبة أعبّر للفائزين عن تهانينا الخالصة، والشكر للمؤسسة على الثقة الغالية بأن جعلت من قرطبة مقصدها واختيارها كإطار لهذه المناسبة. إنّ الندوات التي ستبدأ خلال الأيام المقبلة ترمز لما تعنيه مدينتنا وكل الأندلس والثقافة الأندلسية بالنسبة لأوروبا والعالم العربي على مدار التاريخ.

إنّ الثقافة والمعايشة بين الحضارات قد شكلت هوية قرطبة وخصوصيتها، وجامعة قرطبة تفتخر بأنّ هذين الأميرين هما من الرموز التي تميز هذه المدينة، وقد كانت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري من الحكمة بحيث أنها قررت إقامة الاحتفال بتسليم جوائزها في بلد غربي، وفي مبادرة كريمة تساهم مع اللقاءات التي ستعقد ابتداءً من غدٍ في إثراء الثقافة والشعر العربي، هذه اللقاءات التي سوف تزداد أهميتها بين أوروبا والوطن العربي، وفي كل مجالات النشاط الإنساني لتتجاوز العنف والعنصرية لتقوية روابط التعايش بحيث يعود التواصل مثريًا وخصبًا كما كان في الماضي.

إن الحرية والتعددية والتحليل النقدي والدعوة إلى العالمية والتعاون والتسامح والتضامن وغيرها من القيم الأخرى، هي التي تجعل من الجامعات إحدى البيئات الأكثر ملاءمة لهذه المناسبات، ويجب علينا كجامعيين قبول هذا التحدي وتحمل المسؤولية.

وفي هذا الاتجاه أعلن هنا أن جامعة قرطبة ستفتح المجال للتعاون في مجال التعليم والبحث ومختلف النشاطات العلمية والثقافية مع العديد من البلدان العربية والذي سيزداد اتساعًا مع مرور الوقت.

هناك الكثير من المبادرات التي تقترح الحوار والتقارب بين الأشخاص والشعوب من أجل السلام والتقدم في إطار من العدل والقيم والديمقراطية.

أود أن أشكر أمراء لوغو على تشريفهم لنا وعلى حضورهم وترؤسهم هذا اللقاء، وعلى مساعدتهم الكبيرة التي وجدناها من كل أفراد الأسرة الملكية كلما توجهنا إليهم من جامعة قرطبة.

أشكر أيضًا وزيرة الثقافة السيدة كارمن كالفو، والمستشارة الثقافية روساريو توريس والسيدة روسا أغيلار عمدة قرطبة.. فجميعهن عملن على دعم هذا اللقاء وهن يرافقننا هذا المساء.

الشكر لكم على حضوركم، وأتمنى لكم إقامة طيبة ومثمرة، ونتمنى أن تتكرر هذه المساهمات في العام ٢٠١٦ وهو الذي تطمح فيه مدينة قرطبة أن تكون عاصمة للثقافة الأوروبية.

منذ أيام قليلة وفي افتتاح العام الدراسي الجديد قلت إنّ البشرية تواجه في هذه اللحظات حربها على الإرهاب والعنف والفقر.

ومن منظور جامعي بل وعالمي يتحتم علينا المساهمة في بناء الفكر البشري وندعم السلام والحوار والتسامح من خلال الثقافة والتعليم.

قرطبة هي مزيج من الحضارات والشعوب والأديان، وتحتفظ منذ أزمنة بعيدة بالكثير من عوامل التسامح وبناء الحوار والتعايش، ومن أهم هذه العوامل الثقافة حيث إنّ مدينتنا تواجه تنافسًا قويّاً للحصول على لقب «عاصمة الثقافة الأوروبية والدولية».

إن الطريق طويل، ومن المهم جدّاً أن نسير بحماسة وبطريقة منظمة بحيث يكون الهدف هو خدمة قرطبة لخدمة الجميع، وتحقيق ذلك من خلال العمل المتواصل من قبل

المؤسسات العامة والخاصة، والعمل على المحافظة على المدينة بأن تكون أكثر نظافة وجاذبية.

ما هي الورقة التي يجب على مدينة قرطبة أن تقوم بها لمواجهة هذا التحدي؟

هناك الكثير من المدن التي طلبت أن تكون عاصمة أوروبا الثقافية، وبات مؤكدًا أنّه في إسبانيا تم ترشيح عدة مدن مثل: مدريد، سلمنكا، وسانتسا غوريه، وكومبوستيلا، علمًا بأنّ هذه المدن تعتبر ذات تقاليد جامعية معتمدة في هذا المجال، قرطبة يجب أن تتقدم وتضم مساهماتها الخاصة كجامعة تحظى بتقاليد ثقافية منذ المدرسة القديمة في قرطبة المسلمة .. على أن تكون المدينة الجامعية ذات طابع معتمد وموثوق.

ومما لا شك فيه فإنّ جامعتنا هي من أفضل المؤسسات من حيث التجهيزات وتقديم المعرفة والأماكن.. ومن هنا أكرر وعد جامعة قرطبة الثابت في العمل على الفوز بلقب الثقافة الأوروبية.

****

كلمة معالي البروفسورة كارمن كالفو بوياتو
وزيرة الثقافة الإسبانية

سمو الأميرة..

السيد دوق لوغو

السيدة عمدة قرطبة...

السيد رئيس الجامعة

السيدة المستشارة الثقافية..

السيد عبدالعزيز سعود البابطين..

السيدات والسادة..

تقوم مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، التي تأسست عام ١٩٨٩ بدور ذي أهمية بالغة في تشجيع الثقافة العربية ونشرها، مما يؤدي إلى الحفاظ على ميراثها الأدبي، ودورها هذا جعلها جديرة بالتقدير الذي حصلت عليه من عدة دول عربية.

بهذه المناسبة يشرفنا أن نحظى بكم في قرطبة بعد اختيارها كأول مدينة في الغرب تحتضن الاحتفالية الرائعة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، هذه المؤسسة التي تقوم بتوزيع جوائزها كل عامين، وهذه الدورة هي التاسعة لها وهي بمثابة تكريم للشاعر ابن زيدون وإحياءً لذكراه، وإنني متأكدة من أن طابع المدينة المنفتح والمضياف بالإضافة للتعايش الذي كان بين الشرق والغرب في هذه المدينة، كانت أسبابًا مهمة ساعدت في اختيارها كمقر لاحتفالية المؤسسة هذه السنة.

إنه لشرف لقرطبة أن تكون النافذة التي من خلالها يطل الغرب على الشرق، وأيضًا شرف لنا مرافقة سمو الأميرة إيلينا وزوجها دوق لوغو، فاهتمامها واطلاعها

على جميع الحضارات وخاصة الحضارة العربية واضح من خلال حضورها ودعمها لهذا اللقاء.

مع هذه الاحتفالية ستبدأ أعمال الندوة الأدبية «ابن زيدون والأندلس» والندوة الفكرية التي جاءت تحت عنوان الحضارة العربية الإسلامية والغرب: من الخلاف إلى الشراكة »التي ستعمل بكل تأكيد على إثراء هذا الحوار المهم بين الشرق والغرب والعمل على زيادة التفاهم في ما بيننا.

ومن خلال هذه الندوات ستكون لدينا الفرصة لتأكيد التأثير الكبير للأدب العربي على الأدب الإسباني، وبالنسبة لي كقرطبية فليس من الصعب أن أتعمق في جذور التاريخ، لكي ألتقي مع شخصيات فذة من هذه المنطقة خاصة إذا كان اللقاء مع ابن زيدون، هذا الشاعر الذي ولد وعاش وأبدع في القرن الحادي عشر الميلادي، والذي كان رمزًا لتعايش الشعوب والثقافات.

لقد كانت قرطبة مدينة جامعة ومنفتحة يتحدث أهلها بالعربية والرومانثية، وكانت قرطبة مدينة شرقية ولكنها مغلفة بنسيم عطرٍ غربي يهب عليها من «سييرا مورينا»، كانت مدينة ذات أبواب مفتوحة ومضيافة تستوعب كل من يدخلها وتعطيه طابعها الخاص، إنه وشم تاريخها تعبّر عنه متاحفها وأبهاؤها ومبانيها ومسجدها ومدينة الزهراء.. جميعها دلائل لا تمحى ووشم حقيقي في تاريخنا..

وإذا تركنا جانبًا بعض الأسماء اللامعة مثل سعيد البغدادي وابن حزم القرطبي صاحب «طوق الحمامة»، فإنه يبرز من قرطبة اسمان ألا وهما ابن زيدون وولادة بنت الخليفة المستكفي، اللذان صهرهما الحب بطريقة أدبية عاصفة، لقد كان هذان الشاعران بمثابة قاعدة أدبية للكثير من شعراء العصر الذهبي الإسباني من أمثال: كيبيدو، لوبيه وبيغا غوتغورا.

من خلال هذا التذكير المختصر أردت من شفافية التاريخ أن يظهر باستمرار الأشخاص أو الأحداث التي بقيت في زوايا الماضي أو طي النسيان. القصيدة العربية الأندلسية القادمة من الشرق أو ذات الجذور الشرقية عاشت هنا وطبعت بطابع هذه

الثقافة، ولكن الموروث الشعري وصل بصورة غير كاملة، ولم يكن مدروسًا بشكل جيد، لقد وصل بصورة جزئية، ولكن على كل الأحوال فإنه نتج عن الامتزاج بالهواء واللون الأندلسي، ولقد كان تأثيره مؤكدًا على الشعر الإسباني، يظهر ذلك في دراسات عن الشعر الغنائي القشتالي لـ (منيندث بيدال).

أود هنا أن أردد بعض الكلمات التي قالها الفيلسوف الإسباني خوسيه انتونيو في مدريد في المؤتمر الصحفي الذي سبق هذا اللقاء: «نحن أيضًا ثقافة شرقية ولدينا مهمة أساسية في إسبانيا، بل في أوروبا كلها ألا وهي البحث عن ذاتنا وجزء منها مهم جداً هو عربي مسلم».

الانغلاق والخوف من التحدي الثقافي يكون بمثابة مراهنة على نماذج مغلقة وغير مجدية تقود إلى ضياع الطريق وإيقاع التاريخ.

وختامًا أتمنى النجاح الكبير لهذا اللقاء وأقدم للفائزين أحرّ التهاني، كما أقدّم التهاني لمؤسسة جائزة البابطين الثقافية على كرمها وعملها من أجل إثراء الإبداع الشعري، وأشكركم على مجيئكم إلى إسبانيا. شكرًا.

****

كلمة سمو الأميرة «إيلينا» راعية الحفل

«قبل أن ننهي حفل الافتتاح أود أن أهنئ الفائزين والمنظمين وإبلاغكم باسم والدي ملك إسبانيا واسم هذه المدينة الجميلة أفضل أمنياته لكم. شكرًا جزيلاً».

****

رسالة صاحب السمو الملكي

الأميـر تشارلـز

ولي عهد المملكة المتحدة

«إنه لمن دواعي سروري واغتباطي أن أقدم التهاني لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وذلك لحسن اختياركم مدينة قرطبة الرائعة لعقد أول دورة شعرية تقام في الغرب. كما إنه يسعدني أن أتقدم بتمنياتي وتقديري لاختياركم الشاعر الأندلسي ابن زيدون عنوانًا للدورة لما لأعماله الأدبية من تأثير كبير وواضح على مدينة قرطبة التي كانت المدينة الأكثر ثقافة في العصور الوسطى، ليس فقط في الحوار بين الأديان، بل أيضًا توجت بعبقرية الشعر والنثر الذي فاق كثيرًا فترة الشعر الذهبية في مدينة بغداد.

كان ابن زيدون من أعظم شعراء عصره لما تميز به من أسلوب شعري مغاير للشعراء العباسيين في بغداد، حيث استطاع ابن زيدون أن يعكس في قصائده، ومطولاته حياة المجتمع الأندلسي بكل ما تحتويه من تعدد الأديان والأجناس.

بشكل عام يمكن القول إن أعمال ابن زيدون الأدبية تمثل الجسر الأدبي والثقافي الذي كان يربط المسيحيين والمسلمين.

مرة أخرى، اسمحوا لي أن أتقدم بجزيل الشكر والتبريكات للأستاذ عبدالعزيز البابطين، الشاعر المتميز، الذي كان له الفضل في تأسيس هذه المؤسسة التي تحمل اسمه، كما أود في هذه المناسبة أن أبدي تقديري واحترامي للجائزة التي تحمل اسم المؤسسة. إن الاحتفال بأعمال الشاعر الكبير ابن زيدون وتقديم جائزة باسمه لهو عرفان منكم، ليس فقط بعبقرية هذا الشاعر، بل أيضًا هو تقدير واحترام للمدينة التي شهدت مولده واحتضنته.

في النهاية أتمنى لكم كل توفيق في ندوتكم هذه.

****

ملتقى الكويت الأول
للشعر العربي في العراق

٧ - ٩ مايو ٢٠٠٥

دولة الكويت

برعـــايـــة وحضور

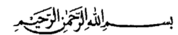
سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

رئيس مجلس الوزراء (آنذاك)

كلمــــة

الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)

رئيس المؤسســة



والصلاة والسلام على كل الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين

سموّ رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله
سعادة الأخ الكريم جاسم محمد الخرافي رئيس مجلس الأمة سلّمه الله
أصحاب المعالي والسعادة الشيوخ والوزراء
إخوتي أخواتي الأعزاء..
ضيوفنا الكرام...
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

أحييكم جميعًا على أرض المحبة والعطاء، وأشكر سموّ الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رئيس مجلس الوزراء الموقر نيابة عنكم وأصالة عن نفسي، على تفضله برعاية هذا الملتقى وتذليل كل ما صادفناه من صعاب، وأود التأكيد على أن أسعد اللحظات هي التي تجمعنا بهذه النخبة الطيبة من الضيوف الكرام، الذين يمثلون صفوةً من جسم الثقافة العربية، وأرحب أجمل ترحيب بمقدمهم إلى دولة الكويت، بلدهم الثاني، ليشاركونا الاحتفال بإقامة «ملتقى الكويت الأول للشعر العربي في العراق»، لما لهذا الملتقى من دلالات هامة، وارتباط وثيق في الاحتفاء بتراثنا العربي الأجمل المتمثل في الشعر، «ديوان العرب» الذي نبع من أرض الخليج والجزيرة العربية، وامتد إلى أرجاء الوطن العربي

(*) أقيم حفل افتتاح ملتقى الكويت الأول للشعر العربي في العراق على مسرح المعاهد الخاصة بمنطقة (حولّي) في دولة الكويت بتاريخ ٧ مايو ٢٠٠٥م.

الكبير، وشكل نغمًا واحدًا متصلاً، يشدو به اللسان العربي أينما حل، وكان العراق موئلاً ثريّاً لهذا الفنِّ القوليِّ الرفيع، وكان أبناؤه على مر العصور الأدبية المتعاقبة مبدعين متميزين في هذا الفنِّ وسَدَنَةً مخلصين في محرابه.

الإخوة الكرام...

إننا على ثقةٍ تامةٍ بأنَّ المشاركين في هذا الملتقى، وبما يتمتعون به من علمٍ وثقافةٍ وسعةِ اطلاع، سَيُثْرونَهُ من خلال المناقشات والدراسات القيمة، لكنَّ أهميَّتَه القصوى تنبعُ من كونه يأتي في مفصلٍ هامٍ من تاريخ الأمة والمنطقة، يصلُ ما انقطع، ويرأبُ ما انصدع، ونحن في الكويت – ولله الحمد – لم يكن بيننا وبين شعب العراق العزيز ومثقفيه أيُّ خلافٍ أو شقاق، وكانت الكويتُ وما تزال طليعةَ المساندين لهذا الشعب، ولثقافته وحضارته، ولشعرائه وأدبائه ومثقفيه، ولم نتركْ للأحداث – التي لم يكن لنا يدٌ فيها – أيَّ فرصةٍ لتجاهل هذا الشعب ومبدعيه، أو التأثير السلبيِّ على المحبة والتواصل مع أبنائه، سواءً على المستوى الرسمي أو الأهلي، ولا أَدَلَّ على ذلك من مثالٍ بل من أمثلةٍ أستقيها من مسيرة مؤسستنا التي أنشئت عام ١٩٨٩، وبرغم تقارب هذا التاريخ مع الأحداث الجسام التي عصفت بالمنطقة، فإن المؤسسةَ وبكل مُخْرَجاتها الأدبيَّة والشعرية والمعجمية، كانت – وبشكلٍ كلّي – إلى جانب التواصل والتعامل مع أبناء العراق المبدعين على قدم المساواة مع إخوانهم العرب الآخرين في كلِّ الأقطار، فلقد فاز الشاعر العراقي محمد جواد الغبان بجائزة التفوق في الشعر في الدورة الأولى للمؤسسة في مايو عام ١٩٩٠، كما فازت الشاعرة العراقية الكبيرة نازك الملائكة بجائزة الإبداع في مجال الشعر في الدورة الخامسة عام ١٩٩٦، وفاز الأستاذ الدكتور عبدالواحد لؤلؤة بجائزة الإبداع في مجال نقد الشعر في الدورة الثامنة عام ٢٠٠٢، وأدرج في الطبعة الأولى التي صدرت عام ١٩٩٥ من «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين» (١٥١) شاعرًا عراقيّاً، وفي طبعته الثانية الصادرة عام ٢٠٠٢، ارتفع عددهم إلى (٢٠٣) شعراء، وفي «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» المنتظر صدوره خلال العامين القادمين بلغ عدد شعراء العراق (١١٥٩) شاعرًا وهو عدد مرشح للزيادة، وكلفت المؤسسةُ

العديد منهم بكتابة أبحاثٍ وتأليف كتبٍ وإدارة جلساتٍ وغير ذلك من أنشطة المؤسسة، فضلاً عن دعوة المئات منهم لحضور دورات المؤسسة وملتقياتها ومناسباتِها الثقافية المختلفة ممن كانوا خارج العراق آنذاك.

وأوَّد أخيرًا التأكيد على دعم الدولة في الكويت وعنايتها الأكيدةِ بمثل هذه المناسبات وتشجيعها لمثل هذه المبادرات والجهود الخاصة التي تسعى مخلصةً إلى التواصل الصادق، بين أبناء الأمة، وبناء الثِّقَة بينهم، ونسج لُحمةِ التضامن والإخاءِ على أمتن الأسس، وأخلص النوايا.

واسمحوا لي في الختام مرةً أخرى أن أشكرَ سموَّ راعي هذا الملتقى، الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رئيس مجلس الوزراء الذي لولا معزَّتُكُم ورغبتُهُ بلقائكم لما تيسر له أن يُخَصِّصَ هذا الوقت، الذي هو أحْوَجُ ما يكونُ إليه للقيام بالأعباء الكبيرة الجِسام التي لا يَتَحَمَّلُها سوى أمثال سموُّه من أولي العزم والفضل والتضحية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

الـــــدورة العاشرة

«دورة أحمد شوقي وألفونس لامارتين»

٣١ أكتوبر - ٣ نوفمبر ٢٠٠٦

باريس / الجمهورية الفرنسية

برعـــايـــة

فخامة الرئيس جاك شيراك

رئيس الجمهورية

وحضور وزير الثقافة

معالي البروفسور رينو دونديو ڤابر

كلمـــة

الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)

رئيس المؤسســة

صاحب المعالي رينو دونديو ڤابر وزير الثقافة

ممثل راعي الحفل فخامة رئيس الجمهورية الموقر

سعادة الأستاذ كوتشيرو ماتسورا مدير عام منظمة اليونسكو

المدعوون الأفاضل

هذه لحظة من لحظات البهجة والاعتزاز لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، إذ تحظى في دورتها العاشرة برعاية كريمة من فخامة رئيس الجمهورية المبجل وتحتضن باريس أميرة العواصم دورتها العاشرة.

وتزداد بهجتنا حين نلتقي في حفل الافتتاح في مقر المنظمة المشرفة على ثقافات العالم – منظمة اليونسكو – ولم تكن هذه الحظوة لتتم لولا أن البلد المضيف جعل من حرية الفكر شعاراً أساسياً له، ولولا أن مؤسستنا في عمرها القصير استطاعت بجهد استثنائي أن تؤكد حضورها الفعال على الساحة العربية وأن تتجاوز محيطها العربي – دون أن تتخلى عنه – إلى الوسط الدولي لتثبت جدارتها في التخاطب مع المؤسسات الثقافية الدولية، بأمل أن تكون الثقافة رباطاً روحيّاً يجمع في إطاره المثقفين على اختلاف ألوانهم.

سيداتي سادتي..

لقد رغبنا أن تكون هذه الدورة مميزة في مضمونها، فلأول مرة في مسيرة المؤسسة تلتئم الدورة حول شاعرين من عالمين مختلفين: أحمد شوقي، أمير شعراء

(*) أقيم حفل افتتاح الدورة العاشرة للمؤسسة على مسرح منظمة اليونسكو بمدينة باريس بتاريخ ٣١ اكتوبر ٢٠٠٦م وبالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).

العرب، ولامارتين من أمراء الشعر الفرنسي، ولم يكن هذا الاقتران عفوياً بل كان قصداً واعياً.

فأحمد شوقي درس الترجمة في بلده، ولم يلبث أن يمّم فرنسا، ليتابع دراسته في الحقوق وليطلع على معالم الحضارة الأوروبية ، ولم يقتصر شوقي على مادة الدراسة بل عاين ، وتأمل هذا العالم المدهش المغاير.

وفي المقابل فإن لامارتين ضاق به عالمه الذي وفر له متطلبات الحياة الحديثة، وشعر بالملل وحنّ إلى زيارة تلك الجبال التي تجلى فيها الربّ، فقام بسياحة روحية حملته إلى لبنان وفلسطين، وسورية، ولم يكن ما كتبه عن رحلته كتاباً بل قصيدة عن الشرق، تنبئ عمّا يختزنه من مشاعر العشق تجاه تلك الأرض المقدسة.

إن هذا الشعور بالنقص وبالحاجة إلى الاستعانة بالآخر المختلف لدى كل من الشاعرين هو شعور بالكمال الأخلاقي، ونحن في هذه اللحظة المفعمة بالالتباس بحاجة إلى هذا الشعور كي نخفف من غلواء البعض ولكي نرفع من الإحساس بالدونية لدى بعض آخر، فالبشرية على مدى تاريخها كانت كياناً واحداً تتبادل تجليات العقل الإنساني، وظلت الحضارة رغم تموضعها في منطقة معينة نتاجاً إنسانياً عامّاً مغلفاً بالقسمات المحلية.

وكذلك فإن توزع البشرية بين ديانات مختلفة هو أمر طبيعي ما دام الانتماء الديني أمراً تابعاً لإرادة الإنسان، وهذا الانقسام لا يعطي الحق للبشر في أن يحاكموا من يخالفونهم في العقيدة ليجردوهم من حرية الاختيار، وقد حدد كتابنا الكريم الأساس السليم في النظر إلى هذا الانقسام بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ وترك الحكم في هذا الاختلاف إلى الله وحده: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ .

وقد التقى لامارتين بفطرته النقية مع هذا الموقف القرآني بقوله: «أنا لا أصلي مثلك، ولكني أصلي معك للربّ المشترك... ليس علي أن أسخر منك وإنما على الله أن يحاكمنا جميعاً».

ولم تتطلب هذه النظرة الواقعية من الشاعرين التخلي عن انتماءاتهما، بقي أحمد شوقي شاعر العروبة والإسلام، واستمر لامارتين مسيحيّاً مخلصاً ووطنيّاً فرنسيّاً، ولم يؤثر هذا الاختلاف في شفافية الرؤية لأي من الشاعرين.

ونحن في هذه القاعة ، أتينا من بلاد متباعدة، نحمل آمال شعوب وديانات متعددة، غرضنا إحياء ذكرى شاعرين عظيمين التقيا في لحظة الميلاد والوفاة، ورفضا، من موقعيهما المختلفين، دعاوى الكراهية، وقدّما للبشرية من خلال ما أبدعاه من شعر وكتابات صورة صادقة للنفس وللآخر، ومن واجبنا جميعاً أن نجعل من رؤيتهما الإنسانية رؤيتنا، وأن نتبنى الموقف الأخلاقي الذي يعطي الآخر الحقوق ذاتها التي يرتضيها لنفسه.

لنؤمن معاً بأن البشرية أسرة واحدة، وأن من واجب القوي أن يجعل من قوة الحق رائده، ومن واجب الدول الغنية حتى تنعم بثرواتها أن تسعى لتخليص العالم من الفقر.

وفي ختام كلمتي أوجه الشكر لهذا البلد الذي رفع منذ أكثر من مائتي عام شعار «الحرية والمساواة والإخاء» لكي يبشر بعالم أكثر نقاءً، وبمستقبل أوفر رخاءً، وإلى رئيسه العظيم راعي هذه الدورة وإلى معالي وزير الثقافة ومدير عام اليونسكو.

ولابد أن أحيي وأشيد بكل من وقف وراء هذا المشروع الثقافي حتى بلغ غايته، أخص بالذكر والثناء السيد إيف غينا رئيس معهد العالم العربي في باريس والدكتور عبدالرزاق النفيسي مندوب الكويت الدائم في منظمة اليونسكو، والذي كان له الفضل في تعميق الصلة بين المؤسسة ومنظمة اليونسكو والسمو بها إلى مرتبة الشراكة.

وأحيي جهود أعضاء مجلس أمناء المؤسسة وأعضاء اللجنة المنظمة العليا للدورة الذين كانوا مع المشروع منذ ولادته، وسددوا خطواته حتى استوى ثمراً وراق منظرًا .

والشكر الوافر للأمين العام للمؤسسة ومساعديه الذين رابطوا في غرفة العمليات طوال سنتين وبذلوا من الجهد ما فاق التوقع.

وخالص المودة والتقدير للمدعوين الذي اجتازوا القارات ليشاركونا هذا الحفل، وليؤكدوا معنا أن من حق كل إنسان أن يتمتع بالكرامة والعدالة والحرية، وأن انتقاص هذه الحقوق في أي جزء من العالم هو انتقاص للعالم بأكمله: وهذا ما أبرزته الآية الكريمة: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

كلمة فخامة الدكتور سيد محمد خاتمي(*)

الرئيس الإيراني الأسبق رئيس المؤسسة الدولية لحوار الحضارات

بسم الله الرحمن الرحيم

إن انصهار العقل والعاطفة في بوتقة الأدب، يضفي من خلال التزود بالطابع الإنساني نظمًا وترتيبًا منطقياً على المظاهر الهجينة والغريبة، ويجعلها منطقية ومألوفة وجميلة، لتكون بعد ذلك محبوبة ومقبولة، وتشكل أرضية لحياة الإنسان من أجل نيل العلم والكمال.

آنذاك يمكن الحصول على فهم جديد من تبلور معنى الكلمة في الأدب. إن الكلمة يعبِّر عنها الكتاب المقدس بأنها «الله» ويعبر عنها القرآن الكريم بأنها «إرادة الله» ولكنها على أي حال لم تُعرف حتى نطقها لسان الإنسان. وإن بيان الإنسان مع أنه كان بمنزلة نزول الكلمة للمقام الإنساني إلا أن فهمه وإدراكه كان شرطًا ضرورياً.

إن العالم الذي لم يُبتلَ بالمعرفة البشرية لا يتصف بأي صفة، ومن أجل أن يكون كبيراً، فاخراً، جميلاً، سميراً، مطلوباً وجديراً بالثناء وليكون محلاً يؤنس بالعيش فيه، يجب أن يكون متعلقاً بالعواطف الإنسانية، وآنذاك في ذات الوقت الذي يهبط وينزل فيه، يسمو إلى مقام الكشف. ماذا يحصل لو أن هذا الرُّقي والسمو جاء بدون ذلك التنزيل! إنه أمل ولكن من آمال ذاك الطير الذي يود لو لم تكن مقاومة الرياح – كي لا ترهقه – بجناحيه! لعل الباري تعالى قد احتفظ بحصة للإنسان من خالقيته ولهذا السبب اعتبره خليفة له. في الأدب: خلافة الله هذه هي التي تخلد الخلقة وتجعلها مفهومة.

(*) ترجمها الأستاذ سمير أرشدي، أستاذ اللغة الفارسية بجامعة الكويت.

ليس من العبث أن يكون عالم الأدب هو البناء الهيكلي لفهم العالم والحياة، وهو مخزن القيم الإنسانية المهمة التي تظهر بأشكال مختلفة خلال المراحل التاريخية.

إن اعتبار رجال الأدب العظام ضمن كبار المصلحين والأنبياء الإلهيين مبالغة لا تخلو من لطف. إنها توصيف لمرحلة أخرى من الخلقة – يبدو وكأنها – يجب أن تنفَّذ بيد البشر. ولهذا السبب فإن الأدبيات تعتبر مظهرًا للنخب العلمية، وجسرًا بين عالم الواقع والقيم الإنسانية العامة المطلقة، وبين الشخص الذي يجسّد العالم الإنساني. إن الأخلاقية العالمية قد ولدت وانتشرت مع الأدب بوجوهه المتنوعة وانتقلت بين الأجيال.

إن التفاهم حول العالم، ومع العالم، هو حصيلة الأدب، وبتعبير أدق هو رسالة الأدب. إن اعتبار أدب كل قوم هو مرآة أولئك القوم، والكتاب الذي يدوّن وقائعهم المهمة في حياتهم التاريخية ينبع من هذه الحقيقة، ويشكل جانباً من بناء الأدب الشامخ، ويمثل الوجه المفهوم لظاهرة تسمى البشر.

إن مبدعي الأعمال الأدبية في كل مرحلة كانوا يواجهون مسألة إنسانية، إما أن تكون نتيجة التطور الطبيعي للمجتمع، أو ناجمة عن جهل لموازنة الإدراك. إنهم في إجابتهم على الحاجة لتجديد الاعتدال، حاولوا إعادة النظر وإعادة التصفيف، وفي الإطار العام من بين أنقاض القيم المتهالكة، استخرجوا القسم الأصيل والأساسي الضروري والمفيد لإعادة النظام، وعرضوه على المجتمع الجديد.

إن تحديث العلاقات في شبكة المفاهيم وإعادة التنسيق بين القيم، يمكن اعتباره بأنه عمليات إصلاح تؤدي إلى معالجة الأزمات بالدرجة الأولى.

ومن هذا المنطلق نرى أن رسالة الأدب اليوم هي رسالة جديدة وحياتية في مسيرة تنمية التفاهم في العالم الإنساني، ويجب أن تواكب الأخطار الجسيمة التي تهدد البشرية والسلام العالمي.

إن البشرية تواجه اليوم أزمات متلاحقة تمخضت عن سببين؛ الأول: التطور العلمي والتقني الذي أوقع العلاقات السليمة بين الإنسان والطبيعة في خطر. والآخر

هو الجهل بتقديرات كبرى سببت تحدياً للعلاقات الطبيعية بين الناس في مستويات عالمية وإقليمية ووطنية، كما سببت استمرارًا للأخطاء الجسيمة للبشر إبّان القرن العشرين.

إن العلماء الأخيار في عصرنا الراهن هم دعاة الحوار على كل المستويات، ومن أجل حل كافة المعضلات وسوء الفهم والانطباعات المريضة المتزايدة والخادعة، والتي يمكن أن نطلق عليها أزمة التفاهم بين الناس وبين الإنسان والعالم، والآداب هي الساحة الأصيلة لهذا الصراع المحتدم.

إن الآداب من أجل التفاهم والحوار يجب أن تجعل البحث عن جذور أزمة التفاهم القائمة على رأس أولوياتها. أي أن يكون التحاور وتعارض الآراء هو من أجل إنضاج الفهم المشترك، وإخراج الموضوع من فضائه المغلق والمحدود، والذي يساند ويدعم نفسه باتجاهات خاصة بعيدة عن أعين النقد، وأيضاً بمعنى البحث المتواصل عن أعراض هذا المرض الخطير والساري.

إن أدب الحوار يحتاج وبإلحاح إلى الفهم والإدراك المتلازم، والشعور بالواجب الإنساني تجاه حاضر الإنسان ومستقبله، واحترام التعددية والاعتراف بها، والمثابرة الصادقة لفهم الآخر وذلك لسببين: أن يرى الإنسان نفسه وصورته من وجهة نظر الآخر، وأن يشاهد الآخر، وعالمه وحساسيته وأمسه الذي يحدد يومه، وكل ما هو جميل ومطلوب فيه، وأن يرى كل ما يستوجب النقد، وأن يفترض الإنسان نفسه محل الآخر وينظر إلى العالم المحيط به من زاويته، وأن يرى مفهوم العلاقات القائمة على كل المستويات من خلال انطباع الآخر، ومن أجل أن يطمئن على صحة رؤيته، عليه أن يفرّغ الإدراك من المشاعر السلبية الموروثة من الأمس، وأن يبادر للبحث عن الحقيقة.

إن أدب الحوار يعير أهمية للإنصات الجيد والدقيق المتواصل بقدر اهتمامه للقول السليم وسلامة القول. إن الاستماع يكون جيداً ومطلوباً حينما لا يكون حديث

النفس. إن الذين يتحاورون مع أنفسهم بصمت بدلاً من أن يستمعوا، يرون الكلام المتجدد تكرارًا لمعرفتهم السابقة، وهم في الواقع لا يسمعون.

من أجل السماع علينا أن نفتح آذان القلب وأن نعير احتراماً وأهمية للكلام باعتباره مظهر إنسانية الإنسان، وأن نفكر بكرامة الإنسان المتساوية لدى كل أبناء البشر.

إن الحديث – ولاسيما الحديث الرصين – يكتسب أهميته ويعتبر أحياناً أيسر من الاستماع الجيد، أو هكذا يتصور البعض، لأن اقتحام المعاني واستنهاض المشاعر يملأ وجود الشخص ويشحذه من فوران الكلام، ولا يترك فراغاً وحيزاً لشيء آخر.

مع كل ما مضى، فإن مكانة الاستماع لا تعتبر أمراً ثانويّاً مطلقاً. إن الاستماع والإنصات خطوة رائدة في إعادة بناء التفاهم والتواصل، وتعتبر بلا أدنى شك شرطاً حاسماً للتوصل لفهم مشترك، وإن أي كبوة وعثرة في هذه الخطوة تتمخض عن مخاطر كبرى جسيمة، وهي: التعامي عن الأحداث المستجدة، والخطأ في تقييم صورة الشخص لدى الآخر، والضياع في شرنقة العجب بالذات والغوص في الأوهام، والتقوقع داخل لغة حصرية تتهرب من نقد الأفكار والأطروحات لتبقى مهملة، بل وتشكل أرضية لسوء الفهم.

إن أدب الحوار يفتح آفاقاً مستقبلية للجهود الجماعية للمفكرين والمتنورين والمصلحين، من أجل إعادة بناء العلاقات الطبيعية بين أبناء البشر، وبينهم وبين العالم والحياة، والتي تستلهم مغزاها من شبكة القيم المشتركة والكونية، وتعتبر ركيزة لعالمٍ تعدديٍّ مبنيٍّ على الخير الشامل، وآنذاك تضفي معنى جديداً للعالم والحياة، وتترجم الطموحات الفاضلة. وكلنا أمل وثقة بأن يصبح العالم أكثر إنسانية.

وتقبلوا فائق الشكر.

****

كلمة السيد عمرو موسى

الأمين العام لجامعة الدول العربية

اسمحوا لي أن أبدأ كلمتي بالثناء على المجهودات الكبيرة والدؤوبة التي تبذلها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري للارتقاء بمستوى الحوار بين الحضارات والثقافات، وأن أعبّر عن تقديري للدعوة التي تفضلت بها كي أشارك في مناقشات هذه الدورة.

ويقيني هو أننا نجتمع اليوم في إطار مناسبة ومبادرة أتت في وقتها، وربما في مكانها في «اليونسكو» بيت الثقافة العالمي، لنناقش مسألة تأتي على رأس قائمة الأولويات الحياتية لعالم العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ألا وهي وضع العلاقة بين الحضارات ودور الثقافة في ديناميكياتها، كما نحتفل في إطارها بشاعرين عملاقين عبّرا بكل إبداع وبلاغة عن مجتمعيهما، وأسهما في تقارب الثقافتين العربية والفرنسية؛ أحمد شوقي ولامارتين صاحب الكتاب الشهير «رحلة إلى الشرق» بكل ما دعا إليه من تفاعل خلاق، وصاحب القصيدة الرائعة «البحيرة» التي ترجمت إلى العربية أكثر من عشرين ترجمة، كما أنه صاحب كتاب «حياة محمد» عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، بل إنه في حالة أحمد شوقي كان تزاوج الثقافتين واحدًا من ركائز ثروة فكره وحلاوة عبارته وبلاغة رسالته. إن حالتي شوقي ولامارتين تشكلان نموذجًا خلاّقًا يجدر الاقتداء به في العلاقة مع الآخر القائمة على الفهم الصحيح والاختلاف المحترم.

نعم هي مناسبة لأن نناقش أمرًا يشغل بال المثقفين الحقيقيين المهتمين بالوضع العالمي وتطوراته، بإيجابياته وسلبياته، كما يجب أن يشغل بنفس الدرجة – إن لم يكن في الواقع بدرجة أكبر – الساسة والسياسيين والدبلوماسية والدبلوماسيين وصناع الرأي، وأقصد بذلك «حالة العلاقة بين الحضارات» في عالم متغير متداخل مضطرب.. أقول العلاقة بين الحضارات، ولا أقول صراعها ولا حوارها.. فالصراع لا شك قائم كما أن الحوار – كما ترون – دائم.

إنها حالة شاملة، تلك المتعلقة بالعلاقة بين الحضارات أو بين بعضها، حالة متعددة الجوانب حادة الزوايا، لها جوانبها التاريخية والجغرافية والقانونية والثقافية والسياسية والأمنية والنفسية.. وقد أدت إلى حالة عالمية من الالتباس غير مسبوقة، أنتجت حروبًا وأعمال عنف وجرائم إرهاب، كما كشفت عن جهل وكراهية متأصلة من شأنها أن تزيد الأمور اشتعالاً ما لم نعالجها بنجاعة، منطلقين من أن «حالة العلاقة بين الحضارات» أصبحت تشكل تهديدًا أساسيّاً للسلم والأمن الدوليين.

نعم إن الوضع مهدد للاستقرار العالمي ، وفي هذا يهمني أن أضع أمام هذا الجمع الكريم الملاحظات الآتية:

أولاً: إن العلاقة المضطربة بين الحضارات تبلورت في المرحلة الحالية في علاقة مضطربة بين الغرب وما يمثله ويستند إليه، وبين الإسلام وما يمثله ويهتم به، حيث إن ما نراه هو صراع قائم فقط بين الغرب والإسلام وليس مع أو بين أي حضارات أخرى، وفي هذا أعتقد أننا يجب أن نسمي الأشياء بمسمياتها، وأن نحلل الوضع تحليلاً موضوعيّاً يمكننا من الحديث بصراحة، ومنه أن نقترح الخطوات العملية التي تمكننا من علاج الوضع الشائك الذي نواجهه.

ثانيًا: إن تلك العلاقة المضطربة والتي كان من الممكن الإحاطة بها لو خلصت النوايا، وهي ليست بالضرورة خالصة، وقعت في يد المتطرفين من الجانبين، أي في يد

المحافظين شديدي الغلو والتطرف على الجانب الغربي، والمتطرفين شديدي الغلو في فكرهم ورد فعلهم على الجانب المقابل.

ثالثًا: إن دخول العالم في عصر العولمة أي التواصل والتكامل بل والتماهي.. يدون في ذاته صفحة جديدة في كتاب التاريخ ويحمل تحديات كبيرة.

لسنا في نهاية التاريخ أبدًا وبصراحة إذا كانت هذه نهاية التاريخ فإنها تكون نهاية مأساوية حقًا، إن كتاب التاريخ لا يزال مفتوحًا، وسوف يتوقف عدد مهم من صفحاته القادمة على ما نفعله نحن في علاج هذه الأزمة التي ثارت بين الغرب والإسلام وتداعياتها.

رابعًا: إن الأمر يتطلب تعاملاً صريحًا مع آفات العصر الحالي، وسقطات السياسة الدولية الجارية، المتمثلة أساسًا في سياسات ازدواجية المعايير، والتكبر على القانون، وليٍّ الحقائق وتصوير الأوضاع بما لا يتفق مع الحقيقة أو كل الحقيقة، ثم الاستناد إلى أنصاف الحقائق وتشويهها واختزال وتبسيط قضايا معقدة، مما يؤدي إلى خلق واقع جديد هو في حقيقته متهرئ وسلبي، ومؤدٍّ إلى مزيد من العنف والدموية.. هذا جزء مهم من نظرة نقدية إلى حضارة يدعي البعض أنها حضارة نهاية التاريخ وكلّ مبتغاه.

إن خلاصة ما أعتقد فيه واقترحه هو أن الأمور المتعلقة بالعلاقة بين الحضارات، وبصفة محورية العلاقة بين الغرب والإسلام، قد تداخلت عناصرها إلى درجة خطيرة، ولم تصبح مجرد مشكلة ثقافية أو حضارية – كما يقولون –، وإنما أضحت مشكلة سياسية وأمنية أيضًا، وهي كما سبق وعرضت ، تشكل تهديدًا حقيقيًا للسلم والأمن الدوليين.

وفي هذا، ونحن في عاصمة اليونسكو، وفي حضور مديرها العام الدكتور ماتسورا، أقترح أن تطرح المسألة برمتها على مجلس الأمن، وأن يتم انعقاد المجلس

بقرار من اليونسكو وبطلب منه، والذي يجب أن يكون المتحدث باسمه هو المتحدث الأول أمام انعقاد خاص لمجلس الأمن، بعنوان «حالة العلاقة بين الحضارات في عالم مضطرب وتأثيرها على الاستقرار العالمي وتهديدها للأمن والسلم الدوليين».

أتمنى لهذه المبادرة الفعالة وهذا الحوار البناء الذي سيجري هنا في مقر اليونسكو كل التوفيق، كما أرجو أن يؤخذ موضوع مشاركة مجلس الأمن في بحث هذه المسألة وبمبادرة من اليونسكو بالجدّية والاهتمام الواجبين.

****

كلمة سمو الشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر الصباح
رئيس مجلس الوزراء الكويتي
ألقاها معالي الدكتور عادل الطبطبائي
وزير التربية والتعليم العالي

ممثل فخامة رئيس جمهورية فرنسا معالي وزير الثقافة رينو دونديو ڤابر

سعادة مدير منظمة اليونسكو كوتشيرو ماتسورا

أيها الحفل الكريم

باسم بلدي الكويت أميراً وحكومةً وشعباً يسعدني أن أحيي هذا اللقاء الذي يضم نخبة من المفكرين الذين تختلج صدورهم بهموم وآمال العالم، والذين قدموا من مختلف أرجاء المعمورة تشدهم الرغبة في إحلال المودة محل الكراهية، والسلام بدلاً من العنف، والإخاء مكان العداء. ولابد أن أشيد أولاً بالدولة المضيفة وبرئيسها الموقر على الرعاية السامية التي أضفتها على هذه الدورة، هذه الرعاية التي تنسجم مع التقاليد الراسخة التي أرساها مفكرو فرنسا العظام، الذين جعلوا من حرية الفكر حقاً مقدساً لا يجوز المساس به، ونادوا بالحقوق التي تجعل من الإنسان سيداً على هذه البسيطة كما أراد له خالقه أن يكون، ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾.

ونحن في الوطن العربي نقدر تقديراً عالياً السياسة الحكيمة التي ينتهجها فخامة الرئيس جاك شيراك والحكومة الفرنسية، ووقوفها مع القضايا العادلة للشعوب العربية، ونلتزم معها في وجوب احترام سيادة كل دولة، وعدم استخدام القوة في حل المنازعات الدولية، واللجوء إلى الحوار كوسيلة مثلى للتفاهم، واحترام قرارات الشرعية الدولية، والتعاون بين دول الشمال والجنوب لردم الفجوة الحضارية بينهما.

ونحن في الكويت نبارك هذه الندوة، ندوة «الثقافة وحوار الحضارات» التي تنعقد في باريس بلد النور والحرية لتكتسب أعلى درجة من الحضور والفاعلية، فنحن أحوج ما نكون في هذه الأوقات العصيبة التي يحاول بها البعض بدوافع شيطانية أن يستفز الطرف الآخر، بإهانة مقدساته تحت مزاعم حرية الرأي، أو بالترويج لنظرية صراع الحضارات، وكأنها الحقيقة الوحيدة التي تحكم مسار البشرية، أو باللجوء في حل المنازعات إلى السلاح بدلاً من الحوار ، وهذا يفرض على العقلاء من مختلف المشارب أن يتحملوا المسؤولية إنقاذاً لسمعة البشرية أن تتدنى، ليصبح قانون الغاب هو الذي يحكمها، ولإيقاف هذا السعار الذي يحاول به المهووسون على الطرفين أن يشعلوا الحرائق في كل مكان، ليجعلوا من الحياة الإنسانية جحيماً، ويُحِلّوا إرادتهم محل الإرادة الإلهية.

إننا نؤمن في الكويت أن الاختلاف في الرأي حق من حقوق الإنسان، بل حق مقدس وأن التعددية هي سمة العصر، وأن الاختلاف النابع من قناعة حرة هو السبيل الوحيد لتحقيق ائتلاف بناء، وهذا الحشد الذي يمثل كل ألوان الطيف الديني والقومي والفكري، والذي يؤمن بأن الحوار هو أقصر الطرق إلى الحقيقة، وأيسر السبل للتعارف والتكاتف، جدير بالمهمة التي نذر نفسه لها، وكلّي أمل أن تكون هذه الندوة وأمثالها وسيلة لانقشاع الغيوم من أفق العالم، وعودة الصفاء والمودة بين عموم الطيف الإنساني.

واسمحوا لي أن أشير إلى جهود مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وراعيها الذي اختزن في فؤاده آمال أمة بكاملها، وتحمّل منفرداً من الأعباء المادية الكثير الكثير.

إنني أحيي هذه المؤسسة التي تمثل بحق الوجه الوضيء للثقافة العربية ، فهي لم تقتصر على الشعر كمادة ثقافية بحتة، بل أرادت أن تنظر للشعر من خلال ارتباطه

بالعصر وقضاياه، فانفتحت على ثقافات العالم الواسع. وتحملت مسؤوليتها الأخلاقية وهي تشاهد تأجج العنف، فأنشأت مركزاً خاصاً بحوار الحضارات، ودعت إلى هذه الندوة التي تشرف بحضوركم، أصحاب الرأي المتنور لتكونوا سدّاً في وجه عاصفة الكراهية والدمار.

وإذ نتطلع جميعاً إلى مستقبلٍ خالٍ من الخوف والجوع، إلى مستقبل ترتفع فيه رايات الحق والعدل، وتصبح القوة الوحيدة فيه هي قوة القانون، والسلطة النافذة هي سلطة الكلمة الطيبة، فإنني أهيب بهذا الجمع الكريم الذي يمثل شعوب العالم ودياناته، أن يجعل من لقائه هذا فاتحة لجهد دؤوب ومثمر، لكي ينعم أبناؤنا بالحياة الهانئة في ظل الأمن والسلم والحرية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

كلمة سعادة البروفسور كوتشيرو ماتسورا
المدير العام لمنظمة اليونسكو

السيد رئيس المؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين،،،

السيد رئيس المؤسسة العالمية لحوار الحضارات،،،

السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية،،،

أصحاب السعادة الوزراء، سيداتي وسادتي،،،

فإنه لمن دواعي سروري أن أرحب بكم في منظمة اليونسكو للاحتفال بالدورة العاشرة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

اسمحوا لي، بادئ ذي بدء، أن أوجه هذه التحية للمؤسسة وبصفة خاصة إلى رئيس مجلس أمنائها عبدالعزيز سعود البابطين لجهودهم التي تكللت بهذا المستوى المرموق لرفع شأن الشعر من خلال هذه الجائزة، وكذلك من خلال النشرات والمؤتمرات والترجمات والدورات التدريبية، واسمحوا لي كذلك أن أقدم التحية إلى المدعوين المتميزين، إنه لشرف كبير مشاركتكم معنا اليوم.

رئيس المؤسسة العالمية لحوار الحضارات والأمين العام لجامعة الدول العربية، إن حضوركما هنا هو أهم شأن لهذا الحدث ورفعة المستوى اللذين اكتسبتهما المنظمة في المنطقة.

أود أخيرًا أن أوصل خالص شكري إلى الدكتور عبدالرزاق النفيسي، السفير والممثل الكويتي الدائم لدى اليونسكو وأقدر عمله في تنظيم هذه الجائزة العالمية.

اسمحوا لي كذلك أن أضيف تقدير اليونسكو الكبير لحماسكم الذي من خلاله رأستم لجنة الخطة العربية المتمثلة في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين، هذه الخطة التي أعطت للثقافة العربية عبر العالم تفهمًا كبيرًا وتقديرًا، ساهمت مع اليونسكو بجهد كبير لبناء حوار للثقافات بهدف تحقيق السلام.

إن استضافة الدورة العاشرة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري لشرف كبير لليونسكو، وهي المرة الثانية التي تقام فيها هذه الاحتفالية في أوروبا.

اليونسكو تعتبر هذه الفرصة فرصة ثمينة لانعكاس تصور حوار الثقافات ودور الشاعر في تشجيع التفاهم المتبادل والاحترام بين الثقافات. هدف المؤسسة المتمثل في الاحتفال بالإبداع الشعري في المنطقة العربية وتوصيل هذا التراث العظيم إلى العالم أجمع، يتمشى تمامًا مع أهداف اليونسكو.

تشجيعًا للإبداع بسماحه الظهور في روح التنوع والحرية هو أحسن طريقة لتعزيز الحيوية الثقافية التي من خلالها تدفع عجلة التنمية البشرية. إنه لفي مثل هذه الروح قدمت اليونسكو مشاريع عدة بما فيها الاحتفال باليوم العالمي للشعر وتأسيس فهرس عالمي للشعر. نشاطات من هذا النوع هي التي تتناسب مع أعمال المؤسسة.

جهود اليونسكو لدعم الإبداع مرتبطة بالالتزام بالتنوع الثقافي والحوار. الإبداع يحافظ على إحياء تراثنا الثقافي وإيجاد وسائل جديدة لحوارنا وللثقافة. وفي المقابل، فإن التراث الثقافي بحد ذاته يشكل دافعية قوية للإبداع ويعتبر شاهدًا على التنوع الغني للثقافة وتفاعلها من خلال أوعيتها المتبادلة عبر العصور.

وهذا ومن دون شك يشكل قناة من قنوات مشاريع اليونسكو التي تشكل قوة أساسية للاتصال والتبادل الثقافيين في الفترات التاريخية المختلفة بما فيها الحرجة منها.

هذه الروح الإبداعية من خلال الحوار تتمثل تمامًا في حياة وأعمال الشاعرين اللذين نحيي ذكراهما هذا اليوم: وهما أحمد شوقي وألفونس دو لامارتين اللذان سلطا الضوء على الإمكانات الضخمة الممكنة في التبادل الفكري بين العرب والغرب.

الندوة المصاحبة للاحتفال بالدورة العاشرة تأتي كفرصة ممتازة للتفكير في هذه الحوارات وما تشملها من الدروس التي تركاها لتعزيز التفاهم بين الشرق والغرب بشكل كبير. فشوقي ولامارتين تركا لنا العديد من الدروس التي يمكننا الاستفادة منها في فن التفاهم المتبادل والاحترام والحوار.

أصحاب الفخامة وسيداتي وسادتي،،،

إنه الآن لشرف كبير لي أن أهنئ الفائزين في الدورة العاشرة للمؤسسة الذين يعرفون بأن لديهم رسالة مهمة يجب القيام بها وهي رسالة الشعر الذي يمتلك خاصية الجمع بين العقل والإحساس لمخاطبة البشرية جمعاء، وذلك باستغلال إحساسهم بالانتماء إلى البشرية الواحدة وقدرة طبيعة الشعر التي تجمع في طياتها الموسيقى والصوت.

في عالم اليوم حيث توظيف التكنولوجيا بإمكانات ضخمة، يظهر دور الشاعر أكثر من أي وقت مضى في إبراز الصور المثالية للعدالة والسلام في العالم.

اسمحوا لي أن أختم بهذه الكلمات المشتقة من الشاعر الفرنسي غيوم أبولينير، التي أقرأها بالفرنسية وذلك في قوله: «أعلم بأن هؤلاء الذين يمتهنون مهنة الشعر يكتبون الشيء الأساسي وذا الأولوية، والإلهي».

شكرًا على انتباهكم وأتمنى لكم النجاح.

****

كلمة قداسة البابا بنديكت السادس عشر

ألقاها المونسينيور فرانسيسكو فولو

المراقب الدائم للكرسي الرسولي لدى اليونسكو

شكرًا على هذه المناسبة.. قبل قراءة الرسالة المكتوبة باسم البابا، أود أن أذكّر بأنني اعتذرت عن عدم حضور هذا اللقاء لكنني استلمت رسالة مباشرة من البابا عبّر فيها عن الأهمية التي يعطيها لهذه الدورة، لذلك فُوِّضتُ لكي أحضر هذه الدورة ليس فقط لتلبية دعوة عامة، وإنما لتلبية دعوة خاصة لأظهر إعجاب البابا بالعالم وبالمؤمنين من كل الديانات السماوية.

السيد رئيس المؤسسة، سيداتي وسادتي المشاركين..

إنه لمن دواعي سروري أن أوجه إليكم هذه الرسالة بصفتي رئيس المجلس البابوي لحوار الأديان في مناسبة عقد هذا الحدث الثقافي العالمي المخصص لرمز الشعر لامارتين وشوقي.

هذا الحدث الذي يستضيف عددًا كبيرًا من نساء ورجال مشهورين بالثقافة جاءوا من فرنسا ومن دول أخرى خاصة العربية منها وبأكثرية إسلامية. ومن دون شك، فإنها لفرصة للتفكير وتبادل الآراء في علاقة الشعراء بالحوار والعلاقات التي تربط الثقافات بالديانات، في وقت تتنبأ فيه أصوات بالتصادم بدلاً من الالتقاء، القطيعة بدلاً من الجسور، الانفصالية بدلاً من الاتصال. فمن المهم بمكان ملاحظة كيفية قيام كل من لامارتين وشوقي بتجربة مباشرة للآخر في الذهاب إلى الالتقاء به في موطنه، في الشرق بالنسبة إلى لامارتين، وفي الغرب بالنسبة إلى شوقي.

الشرق الذي عاش فيه لامارتين في غضون عشر سنين والذي درسه وكتب عنه، ويتميز بثقافة عربية إسلامية ساهم في مستواها وفي رفعة شأنها وبشكل كبير المسيحيون العرب الذين هم جزء لا يتجزأ من المجتمعات التي يعيشون فيها.

أما شوقي، من جهته المنحدر من أصل مصري تركي، فعاش ثماني سنين في فرنسا وفي إسبانيا، وذلك لأغراض دراسية. هذا الشاعر المسلم، كتب ضمن ما كتب، شعرًا جميلاً عن ميلاد المسيح المحفوظ لدى الكثير من طلاب الدول العربية.

فالإبداعات الشعرية تأتي إذن، بغض النظر وبدون استهزاء، متجاوزًا الفروقات العرقية واللا الدينية التي لا يعتبرها الشاعر جدرانًا وإنما جسورًا للعبور إلى الآخر في تنوعه الغني بهدف التعرف عليه واحترامه وحتى الاحتفال به.

في العالم الآخر حيث خطر الجهل المتبادل والمقصود، والتطرف والانعزالية المتبادلة، من دون شك، وللأسف، واقع حقيقي، إذ إن رسائل هؤلاء القدامى لا أحد يعيشها في الحاضر.

أتمنى النجاح لهذه الدورة حتى تساهم في إيحاءات رموز وأعمال هذين الشاعرين بهدف تطوير الحوار الثقافي والديني في شاطئ البحر الأبيض المتوسط، بحرنا المشترك.

يسرني أن أذكر، في الختام، بصفة خاصة قداسة البابا بنديكت السادس عشر وخطبته الأخيرة التي وجهها إلى المجتمعات الإسلامية في إيطاليا وإلى سفراء دول الأكثرية الإسلامية المعتمدة لدى مقره في ٢٥ سبتمبر الماضي.

في الوضع الذي يعيش فيه العالم اليوم، فإنه من الضروري أن يتكاتف كل مسيحي وكل مسلم لمواجهة التحديات الكثيرة التي تفرض نفسها على البشرية، وذلك في ما يتعلق بالدفاع ورفعة شأن الكرامة الإنسانية بالإضافة إلى الحقوق المتصلة بها.

(الرسالة موقعة من قبل الكاردينال بول بوبارد ووزير الثقافة وحوار الأديان في الفاتيكان بمعرفة وأمر قداسة البابا)، وشكرًا.

****

كلمة الرعاية ألقاها
معالي وزير الثقافة رينو دونديو ڤابر
ممثل فخامــة
الرئيس جاك شيراك

المدير العام لليونسكو كوتشيرو ماتسورا..

السادة الوزراء

رئيس معهد العالم العربي السيد إيف غينا

السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية

السيد الوزير

رئيس مجلس أمناء المؤسسة

رئيس المؤسسة العالمية لحوار الحضارات

ممثل البابا

أصدقائي الأعزاء..

إنه لمن دواعي سروري أن أحضر معكم اليوم في هذه الدورة الخاصة بمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وتمثيل فخامة السيد جاك شيراك رئيس الجمهورية الفرنسية في هذه المناسبة، والذي كلفني لنقل رسالة خاصة وترحيبية حارة لكل واحدة منكن ولكل واحد منكم.

بعد قرطبة، المدينة الرمزية لحوار الثقافات والحضارات في ٢٠٠٤، هذه هي الدورة الثانية المنظمة خارج الوطن العربي. وإنه لشرف عظيم لفرنسا أن تحتضن هذا الحدث الذي يساهم بشكل كبير في إعادة تأسيس تقاليد التبادل وخلق الروابط بين

الثقافات العربية والإسلامية والثقافات الغربية، أي خلق علاقات صداقة قوية وعميقة مؤسسة على الأدب والروح والقلب.

وإذا كان الأمر يتعلق بالأديب وصاحب الروح والقلب، فإنني أقصد في ذلك شخص رئيس مجلس أمناء المؤسسة السيد عبدالعزيز سعود البابطين الذي جمعنا اليوم، وهو عضو في المفوضية الكويتية لدعم التعليم، الحاصل على عدد من شهادات الدكتوراه الفخرية من جامعات في الوطن العربي وخارجه.

إنكم تظهرون سخاءكم في مجال الثقافة والتعليم والإنسانية كما تنجزون من خلال أعمال مؤسستكم عملاً مثاليّاً لصالح الفن والصداقة بين الشعوب وحوار الحضارات. وقد أعطيتم لهذا الحوار رعاية مميزة في إسناده لرمزي الشعر ألفونس لامارتين وأحمد شوقي الشاعرين الكبيرين الفرنسي والمصري، اللذين وجدا إلهامهما في أسفارهما. يتمثل هذا الإلهام في الشرق بالنسبة إلى لامارتين في ذكرياته، وانطباعاته، وأفكاره، وفي المناظر الطبيعية التي وردت كشواهد رائعة في رحلته إلى الشرق، كشاب في القرن التاسع عشر والتي ساهمت في إلهامه بشكل كبير. يتمثل ذلك أكثر في المقارنات التي قام بها، مقارنة الأماكن بالأماكن، الأوقات بالأوقات، العادات بالعادات، المعتقدات بالمعتقدات، إذ حسب قوله، لا شيء من هذه الأشياء يضيع سدى بالنسبة للمسافر والشاعر والفيلسوف، وكل هذه الأشياء تدخل ضمن عناصر شعره وفلسفته المستقبلية.

وهذا هو الانفتاح الذي طالما تنشدونه في مؤسستكم والطموحات التي قادت أحمد شوقي – الذي كان هو أيضًا مؤلفًا مسرحيّاً كبيرًا على منوال موليير، لاراسين – عندما سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق في مونبيليه ومن ثم في باريس خلال ثلاث سنين.

وهذا الشاعر الأمير الذي بويع على يد أقرانه في عام ١٩٢٧م يذكرنا بالأديب المصري العربي العالمي نجيب محفوظ، الحاصل على جائزة نوبل في الأدب والمتوفى في صيف هذا العام.

نعم، الشعر يجمع، ويوحد، وهو اللغة العالمية، لغة الإنسان بدرجة أولى، وذلك حسب تعبير لامارتين، عندما قال:

«لقد سمعت سائلاً حين تساءل عن ماهيّة الشعر، مثلما يتساءل الواحد عن ماهيّة الطبيعة، عن ماهيّة الإنسان. أصبحنا عاجزين هنا لأن قوة التعريف بالشيء في أعلى درجة من الجمال غير ممكنة. لذا، فلنترك النحاة وأصحاب النظريات ليقوموا بالتعريف المطلوب للشعر إن استطاعوا ذلك. أما بالنسبة إلينا، فلنذكر الكلمة الصحيحة: التي ليست من غموض اللغة».

وهذا الغموض موجود في كل شعوب العالم، وفي كل اللغات التي تساهمون بشكل واسع في التقريب بينها بفضل هذه الجائزة، والتي تعمل على احترام الثقافة والتنوع اللذين يشكلان ثراءه.

أنا سعيد جدًا، أيها المدير العام، باشتراك اليونسكو إلى جانب جامعة الدول العربية، في تنظيم هذا الحدث الذي يرفع عاليًا شأن التنوع الثقافي.

هذا التنوع الذي تم الاعتراف به وتسجيله كحق من الحقوق الإنسانية العالمية في المعاهدة التي تم التوقيع عليها في ٢ أكتوبر ٢٠٠٥، والتي نأمل أن تدخل حيز التنفيذ قريبًا، كنت هنا في ٢ أكتوبر من السنة الماضية، فهذه لحظة ممتعة، ليس فقط من أجل احترام تنوع الهويات الثقافية فحسب، وإنما مثلما ذكرتموه أيها الأمين العام لجامعة الدول العربية، اللحظة التي تجهز للسلام المتمثل في احترام كل هوية وقيمة إنسانية، وهذا ما نادت به قمة جوهانسبيرغ في ٢٠٠٢ لتشجيع الجاليات المستقبلية للعيش والتعايش مع فكرة التنوع وما عرفت به من الثراء في عالم مشترك.

نعم، في عالمنا اليوم تعزيز للتنوع الثقافي الذي يشكل طموحًا يهمنا جميعًا، وبما أن التعدد قيمة عالمية، فإن الحوار بين ثقافات مختلفة ليس إلا شرطًا أسياسيًا للسلام. ولوجود الحوار يجب على الثقافات أن تستمر في الوجود فخورة بهويتها وتتمتع بعلاقة

مفتوحة على الآخر. وهذه التظاهرة نوع من التمثيل البارز، والشعر نوع من التعبير الذي يتمتع بأولوية خاصة وذلك على حد قول الشاعر الكبير أدونيس عندما قال:

«الشعر يبقى هو المكان، المكان الذي يستطيع الإنسان من خلاله التعبير عن حوار الاعتراف والعودة إلى الحياة، الحوار الذي بمجرد حركة يتم التعبير به عن الكون، وعن اكتشاف الآخر، لأن الشعر هو أعمق وسيلة للتعبير النابع من الوعي الإنساني والذي لا يعتمد فقط على أسلوب ترتيب الكلمات وإنما هو الحياة والجمال».

أنا سعيد جدًا لأن أكون معكم اليوم لكي أسلم جوائز مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. وأهنئ بحرارة الفائزين بها. وشكرًا.

****

الـــــدورة الحادية عشرة
«دورة معجم البابطين لشعراء العربية
في القرنين التاسع عشر والعشرين»
٢٧ - ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٨

دولة الكويت

برعــايـــة

حضرة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

وحضــور

معالي الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح

وزير الإعلام

رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

كلمــــة
الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين(*)
رئيس المؤسســة

صاحب المعالي الشيخ صباح الخالد الحمد المبارك الصباح

وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ممثل راعي الحفل حضرة صاحب السمو الأمير الشيخ

صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه

أصحاب الفخامة الرؤساء.

أصحاب السعادة الوزراء.

أصحاب الفضيلة والنيافة.

الإخوة الأفاضل..

نجتمع في هذا المكان العريق، في يوم من أيام الثقافة العربية، لنحتفل معًا بإصدار أول موسوعة للشعر العربي في العصر الحديث تضم إبداعات شعراء قرنين من الزمن، ولا بد أولاً أن نتقدم بالشكر والامتنان لراعي هذا الحفل، حضرة صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه، ولممثل سموه في الرعاية، صاحب المعالي الشيخ صباح الخالد الصباح وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وهذه الرعاية دليل ساطع على بصيرة حكام الكويت، حيث أدركوا بحدسهم العربي الأصيل، قيمة الثقافة كتجسيد لروح الجماعة، وكيف تتجاوز الدولة بالثقافة حدودها، هكذا بالفعل الثقافي الجاد، أصبحت الكويت ممثلة لأمتها تتجاوز حدودها الأرضية لتلتقي بأبناء أمتها على امتداد التراب العربي، وتتجاوز حدودها الزمنية لتتحاور مع سدنة التراث على امتداد الزمن العربي.

(*) أقيم حفل افتتاح الدورة الحادية عشرة للمؤسسة على مسرح صباح السالم بجامعة الكويت مساء يوم ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٨م.

الإخوة الأعزاء:

إن مشروعية أي مؤسسة هي في استجابتها لمطالب بيئتها، وقدرتها على تجسيد أحلام قطاع كبير من مجتمعها. هكذا نشأت المؤسسة استجابة لافتقاد أي مركز للشعر العربي، يلم شتاته، ويرعى أنشطته، فكانت ولادتها إيذانًا ببدء عهد جديد للشعر العربي، فلأول مرة توجد مؤسسة متخصصة تتخطى الانغلاق القطري والسياسي، لتكون حرمًا يلتقي فيه بسلام كل فروع حركة الشعر العربي المثمرة، لتجد في تربته ما يعينها على النمو والانطلاق، وحافزًا ينهض بها إلى تخطي حدود الممكن ومشارفة المستحيل.

وإذا كانت معايير المؤسسة الناجحة أن لا تسترشد بعقل مفرد وألا تنبض بقلب مفرد، بل تستضيء بعقول وأفئدة المبدعين كافة، فقد انفتحت المؤسسة على كل من يحملون هموم الشعر العربي وتطلعاته، من شعراء ونقاد ومثقفين ليكونوا أصحابها ورعاتها وحداتها.

أيقنت المؤسسة قبل أن تخطو أولى خطواتها أن الشعر العربي لا يمكن قسمته إقليمياً، فاحتضنت الوطن العربي على اتساعه، وعلمت أن الشعر العربي لا يمكن قسمته سياسيّاً، فتجاوزت كل التحزبات والانغلاقات الفئوية، وآمنت أن الشعر العربي لا يمكن قسمته زمنيّاً، فانفتحت على الشعر العربي بكل عصوره. أدركت المؤسسة أن الشعر العربي هو كيان حي واحد وأي تجزئة له في أي مستوى هو تمزيق سيفقده روحه وقسماته المميزة، وبهذا الانفتاح على الجميع، أصبحت المؤسسة متحررة من الأطر الجامدة، وامتلكت القدرة على تجاوز نفسها باستمرار إلى مهام أكبر فأكبر.

فإذا كانت السنتان الأولى والثانية هي سنوات طفولة المؤسسة، وتلمس الطريق، حيث اقتصرت المؤسسة فيهما على توزيع الجوائز على المبدعين، فإنها بلغت في السنة الثالثة سن الشباب، فانطلقت إلى مستوى أوسع حيث خصصت دورة في كل سنتين، باسم أحد أعلام الشعر العربي، لينطلق التكريم من المبدعين الأحياء إلى المبدعين الذين غادرونا، ولكن تركوا لنا ما لا نزال نستمد منه نبضنا وألَقَنا، هكذا أقامت المؤسسة ثماني دورات بأسماء تسعة من أعلام الشعر العربي، يتوزعون زمنيّاً بين العصور القديمة والمتوسطة والعصر الحديث، ويتوزعون مكانيّاً بين بلدان المغرب العربي ومصر وبلاد الشام والخليج، وكما حاولنا في الجوائز أن نتخطى كل التقسيمات، وأن نتوحد مع المبدع العربي أينما كان، فكذلك كان مسلكنا في الدورات، فأقمنا دوراتنا في ست دول

عربية من أقصى الغرب إلى الوسط إلى منتهى المشرق العربي، بل تجاوزنا الوطن العربي لنقيم دورتين في بلدين أوروبيين (قرطبة وباريس)، ومن قبلهما ملتقى سعدي الشيرازي بطهران، وكنا نريد من هذه الدورات أبعد من مجرد الإضاءة الثقافية لحياة عدد من كبار شعرائنا ونتاجهم، كنا نود من هذا الفعل الثقافي المنزه، أن يكون أرضية لفعل نخرج به من خريطة سياسية تتعالى فيها الحدود إلى خريطة ثقافية لا حدود فيها، وأن نعيد للمثقفين العرب قدرتهم على الاندماج بالأمة وحدها لا بأي شظية من شظاياها.

وعبرنا البحر الأبيض إلى البر الأوروبي رسل محبة وسلام، لكي ننزع عن أسطورة «الشرق شرق والغرب غرب» التي يحاول البعض من متطرفي الطرفين، أن يحولوها إلى حقيقة مدمرة للجميع، أن ننزع عنها أستارها، ليبدو ما خلفها من حقد دفين، وشهوة لإلغاء الآخر.

وأقمنا ندوات لحوار الحضارات مبتغانا منها أن يتفهم كل طرف حقيقة الطرف الآخر لا ما يشاع عنه، وأن نصل من خلال الفهم إلى الاحترام المتبادل ثم إلى التعاون لما فيه الأمن والرخاء للجميع، وأقمنا مركزًا في المؤسسة لحوار الحضارات لكي يشرف على هذا الجزء الهام من أنشطة المؤسسة.

وحظيت هذه الدورات برعاية من أعلى المستويات في كل دولة قصدناها من ملوك وأمراء ورؤساء جمهوريات ومنظمات دولية، ولقيت إقبالاً كبيرًا على المستويين الثقافي والإعلامي، وكرست دور المؤسسة كمرجعية للشعر العربي على مستوى الوطن العربي.

والمؤسسة لم تغفل عن مهمة إيجاد تربة مواتية للإبداع لدى الجيل الجديد من الشباب، فأقامت دورات تدريبية مجانية في علم العروض وتذوق الشعر، وفي مهارات اللغة العربية، تجاوز عددها مائة وتسعين دورة، وفاق عدد الخريجين فيها ثلاثة عشر ألفًا، وذلك بالتعاون مع ست وثلاثين جامعة بالوطن العربي وخارجه.

وإذا كان هذا النشاط المتعدد الأوجه انصب في إثراء البناء الفوقي للثقافة، فإن المؤسسة انتبهت منذ وقت مبكر إلى أهمية البناء التحتي للثقافة، لأنه الأساس الصلب لأي نهوض ثقافي، وأدركت ضرورة إصدار المعاجم الشعرية لأنها الوعاء الذي يحفظ التراث الشعري من الضياع، فيكون ذاكرة حيّة للأمة، بالإضافة إلى تقديم خريطة كاملة للمشهد الشعري في عصر من العصور، تتيح للناقد الرؤية السليمة لحركة الشعر واتجاهاته مما يمكنه من التقييم العلمي الدقيق.

ولم تمض سنة على إشهار المؤسسة حتى بدأ التحضير لأول معجم يشمل الشعراء العرب المعاصرين، واستغرق العمل في هذا المعجم خمس سنوات ليصدر في طبعته الأولى عام (١٩٩٥) وفي طبعته الثانية عام (٢٠٠٢) التي ضمت قرابة الألفين من الشعراء الأحياء.

وانتقلت المؤسسة إلى مشروع أكثر طموحًا وهو المشروع الذي نحتفل اليوم بإصداره «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» بشعرائه الذين تجاوزوا ثمانية آلاف شاعر، وبهذين المعجمين تكون المؤسسة قد قدمت للثقافة العربية أول خريطة للشعر العربي في القرنين الأخيرين، خريطة تضيء مختلف مساحات هذا الشعر وتياراته.

وسوف تحتفل المؤسسة بعد عدة أشهر بمرور عقدين على تأسيسها، وهي إذ تنظر خلفها تعتز بوفرة من الإنجازات لم تكن لتتحقق لولا أن شاطرنا الكثير من المثقفين العرب أحلامنا، وأمدونا بكل ما تزخر به قرائحهم من أفكار، وقلوبهم من حميمية، ولكن هذا الإنجاز لا يميل بنا إلى الغرور، وإذ ننظر أمامنا فإن ما حققناه ليس نهاية لآمالنا بل هو تحفيز لها نحو خطوات جديدة.

وستبقى هذه المؤسسة تفاجئ نفسها، وتفاجئ محبيها بالإقدام على المعجز من العمل، والمدهش من المشاريع، لتكون جديرة بوطنها وبأمتها وبكل من وضع ثقته فيها.

الإخوة الأكارم

لهذه المناسبة التي نحتفل بها اليوم دلالات متعددة:

أولها: أن هذه الدورة هي الأولى – بين إحدى عشرة دورة – تعقد في الكويت، وليس في هذا من دلالة إلا أن الكويت كانت تجد نفسها في كل دورة تعقد في أي دولة عربية، كما أن كل دولة عربية تجد نفسها الآن في دورة الكويت، فدورات المؤسسة هي دورات مفتوحة على الوطن العربي من أقصى محيطه الأطلسي إلى أقصى بحر العرب وخليجهم. المؤسسة لكل العرب، ولا وجود لها إلا وهي ترتدي العباءة العربية التي تحيط بالجغرافيا وبالتاريخ العربيين.

والدلالة الثانية لهذه الدورة: أن الدورات السابقة كانت تتمحور حول شاعر عربي بارز، أما الآن فإنها تتمحور حول إصدار جديد، وهي سنّة جديدة من سنن المؤسسة،

ولكن هذا الإصدار يضم بين مجلداته الوفيرة أجيالاً من الشعراء تضافروا بمختلف قاماتهم، لكي يبقى عمود الشعر مرفوعًا وخيمته تظلل العرب جميعًا.

وعندما أقدمت المؤسسة على هذا المشروع الجليل، كانت تدرك أنها أمام عمل حافل بالمصاعب، ولكن المؤسسة امتلكت من الدأب في العمل والتصميم على النجاح فيه، ما جعلها تستهين بكل المعوقات.

وبعد أحد عشر عامًا من العمل الدؤوب بهذا المعجم، ها نحن نحمد الله أننا وصلنا إلى شاطئ الأمان، ونؤكد أن لا شيء مستحيل أمام الإرادة البشرية المؤمنة، وها هو المعجم ينتصب أمامكم كالهرم الثقافي، هدية من المؤسسة.. من الكويت لأمة عظيمة من حقها أن تطلب منا الكثير، ومن واجبنا أن لا نطلب عليه جزاءً ولا شكورًا.

وأمام هذا الإنجاز الرائع والاستثنائي، لا بد أن أوجه الشكر والثناء إلى بناة هذا المشروع الكبير، بدءًا بأعضاء مجالس الأمناء المتعاقبة الذين كان المشروع حلمًا من أحلامنا وأحلامهم، وكان لهم الفضل في رسم إطار العمل فيه، وأثني على أعضاء الهيئة الاستشارية للمعجم، الذين أشرفوا باجتماعاتهم المتكررة على سير العمل ووضعوا الضوابط، وعلى أعضاء مكتب التحرير الذين تابعوا سير العمل، وراجعوا كل مفرداته، ووضعوا الحلول لكل مشكلاته، وكانوا العين الفاحصة لسلامة المادة ولجدارتها بالمعجم.

وأشيد بفريق المعجم في الأمانة العامة الذين تحملوا عبئًا كبيرًا في تنفيذ هذا المشروع وإخراجه بالشكل اللائق وفي موعده المحدد.

ولا بد أن أوجه الشكر لمئات الباحثين، الذين كانوا عيون المؤسسة في كل أرجاء الوطن العربي وخارجه وحماة الحقيقة الشعرية، وأقول لهؤلاء البناة جميعًا يكفيكم من الفخر أن هذا العمل الخالد في سجل الثقافة العربية سيخلد معه كل من شارك في صنعه.

والشكر أخيرًا لكل الحاضرين وللضيوف الذين توافدوا من أقطار الوطن العربي ومن خارجه ليضاعفوا من بهجتنا، وليؤكدوا أنهم معنا في كل أحلامنا وتطلعاتنا، ونعاهد الجميع على أن تبقى المؤسسة تحمل أمانة الشعر العربي، ولن تنكص عن أي مهمة مهما كانت ثقيلة، ليكون الشعر العربي بإبداعاته الباهرة كلمة جامعة لقلوب العرب، ورسالة مودة وسلام إلى شعوب العالم. والسلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته..

*****

كلمة الرعاية

ألقاها معالي الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح

وزير الإعلام رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

أصحاب المعالي الوزراء

أصحاب السعادة

السيدات والسادة

ضيوفنا الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أرحب بكم أجمل ترحيب في بلدكم الكويت، وإنه لشرف لي أن أنقل لكم تحيات سيدي حضرة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير البلاد حفظه الله ورعاه، الذي تكرم وشمل هذه الاحتفالية برعايته، وأن أحمل لكم تمنيات سموه بالنجاح والتوفيق لأعمالكم، ولمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بأن تواصل دورها الرائد في خدمة الثقافة العربية، وتحتضن الشعر العربي ومبدعيه، وتحفظ تراثنا الشعري الذي هو بحق (ديوان العرب وسجل تاريخهم).

إن جمعكم هذا وتلبيتكم لدعوة المؤسسة لهو اعتراف كبير لما لهذه المؤسسة من دور بارز فعال في خدمة الثقافة العربية، وانطلاقًا من وطن عرف دائمًا برعايته لهذه الثقافة، إيمانًا منه بأنها الأصل والملاذ، فالكويت قد عاصرت وواكبت حركة النهضة العربية مع بدايات القرن العشرين، وفتحت أبوابها لرياح النهضة العربية التي انطلقت في مصر وبلاد الشام لتستقبل العلماء والمصلحين، شعراء ومفكرين ومؤلفين وأدباء، وتستعين بهم في تحديث التعليم في مدارسها وبناء الإدارة الحديثة في مؤسساتها وإنشاء المكتبات العامة في ربوعها، ويتلقى حكامها وشعبها إنتاج المبدعين من الشعراء والأدباء، وتعمر أسواقها بالمكتبات التي تستقبل ما تنتجه المطابع في البلاد العربية من كتب ومجلات وجرائد ظلت محافظة على دورها.

لقد خطت الكويت في سبعينيات ذلك القرن خطوات مهمة من أجل إقامة صروح ثقافية وعلمية قامت، ولا تزال، بدور بارز في نشر العلم والثقافة في ربوع الكويت وفي كافة البلاد العربية، فكان من أبرز هذه المشروعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ومعهدا المسرح والموسيقى ودور الصحف المميزة.. وامتد هذا البناء العلمي والثقافي إلى خارج الكويت ممثلاً في إنشاء عدد من الجامعات والمعاهد العلمية في البلاد العربية، وبادرت بالمساهمة في إنشاء معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بمدينة فرانكفورت بألمانيا وتحت مظلة جامعة فرانكفورت، وإنشاء معهد العالم العربي بباريس، وهما اليوم من أهم مراكز الإشعاع للثقافة العربية والإسلامية في أوروبا.

كويت الثقافة والعلم هذه وفرت البيئة الحاضنة للمؤسسات الخاصة والمبادرات الأهلية التي قامت لرعاية الثقافة والفنون، ومؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، التي تحتفل اليوم بأحد نشاطاتها المهمة، هي واحدة من أبرز هذه المؤسسات، التي حظيت بدعم كبير وتشجيع بارز من المغفور له أمير دولة الكويت الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح، طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته، رجل المبادرات والمشروعات العلمية والثقافية البارزة، فقدم - رحمه الله - كل الدعم والرعاية لهذه المؤسسة، حيث وهب مكتبتها موقعًا بارزًا في قلب العاصمة لتقوم شاهدًا على إيمانه الكبير بأهمية وقدر الثقافة ورجالها، هذا الصرح الثقافي الذي تعتز الكويت به، كمركز فريد من نوعه لخدمة الشعر العربي وشعراء العربية منذ أقدم الأزمان إلى يومنا هذا.

لقد عقدت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري دوراتها على مدى هذه السنوات في دول متعددة عربية وأجنبية، وكانت تسعى من وراء هذا الامتداد الجغرافي إلى نشر الثقافة العربية وتوسيع أطر الاهتمام بها، من خلال الاحتكاك والتفاعل مع الثقافات الأخرى، وكي تساهم في تقريب الثقافة العربية لشعوب العالم، ولفتح نوافذ في حوار الثقافات وتفاهمها وتصالحها، وها هي الآن تكمل مشروعها الكبير والرائد في خمسة وعشرين مجلدًا، الذي عكف على إنجازه طوال هذه السنين نخبة من الأدباء والنقاد العرب، الذين أرحب بهم وأحييهم وهم بيننا، على ما بذلوه من جهد في إنجاز هذا المعجم، وأعني به «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

إن صدور هذا المعجم - كما أراه - هو أداة للتواصل والربط وعودة لطريق انقطع طويلاً، وهو يعيدنا إلى دورنا الثقافي والحضاري الكبير في تاريخ الثقافة البشرية.

فأنتم لا تحتاجون إلى من يذكركم بأن العرب المسلمين هم أول شعوب الدنيا الذين ابتدعوا ثقافة تأليف الموسوعات والمعاجم، وجاء العالم بعدهم بمئات السنين ليسلك طريقهم ويأخذ بعلمهم ويسير على منوالهم في هذا الفن العظيم من التأليف.

لقد ألف أسلافنا العظام الموسوعات في علوم اللغة بكل فروعها وفنونها، وألفوا في تراجم الرجال والنساء، في الأدباء وفي الأطباء والفقهاء، وألفوا في البلدان، وفي النبات، وفي الحيوان، ولم يستثنوا فنًا من الفنون لم يؤلفوا فيه المعاجم والموسوعات، حتى الأغاني وأصول الموسيقى أفردوا لها المعاجم الكبرى. هذا تراثنا العلمي والثقافي يدل علينا، ونحن اليوم نواصل بهذا المعجم الكبير ذلك الدور الذي أبدعه أسلافنا، ونسير على خطاهم بإذن الله وتوفيقه.

أيها الإخوة..

إن الحضارات البشرية لم تنشأ وتتطور إلا على أيدي الباحثين والعلماء والمفكرين، ويأتي الأدباء والفنانون في الصفوف الأولى من مسيرة نهضة أي شعب، ونحن في الكويت نؤمن دومًا بأهمية العمل الثقافي العربي على كل مستوياته، وكانت المؤسسات الثقافية التي أنشأتها الكويت منطلقة من واقعها الوطني والقومي معًا، فلم تقتصر هذه المؤسسات في عملها وجهدها على العمل داخل الكويت فقط، ولكن لإيماننا بوحدة الثقافة العربية كانت أهداف تلك المؤسسات تتخطى المحلي لتقدم خدماتها للعربي، فوصلت إشعاعاتها لكل المثقفين والقراء العرب في كل مكان، وشملت إصداراتها وندواتها ومشروعاتها الثقافية أوسع إطار من المفكرين والمثقفين العرب، يساهمون فيها ويثرونها بفكرهم وإبداعاتهم، لتعود بالنفع على المتلقي العربي في كل مكان، وتخطينا بذلك حتى حدودنا العربية لنلتقي مع الآخر الذي علينا أن نستهدفه في سعينا إلى بناء قاعدة من الحوار والمعرفة طريقًا للسلام والحرية للبشرية جمعاء.

إن الثقافة العربية بإمكانها أن تلعب اليوم دورًا مؤثرًا في تغيير الصورة النمطية المقدمة في الإعلام العربي عن العرب والمسلمين، وبإمكانها أيضًا أن تحقق للعالم العربي

المناخ الفكري الذي يحرّر العقول من الأوهام، ويؤكد على الدور العقلاني للمجتمعات العربية، ويستعيد قيم المعرفة التي ساهم بها العرب الأوائل في نهضة المعارف الإنسانية في أرجاء العالم.

إن لقاءكم هذا الذي يضم تلك النخبة المتميزة من المثقفين العرب شعراءً ونقادًا ومفكرين، وبينهم نخبة من أصدقائنا وضيوفنا من المهتمين بثقافتنا العربية، وممن نأمل منهم أن يروا في ثقافتنا ما يساهم في هذا الحوار العالمي بين الثقافات، لهو أصدق تعبير عن دور الثقافة العربية في وحدة هذه الأمة وأنها الباقية، مهما حدث على السطح من صور متحركة عن خلافات واختلافات، فالثقافة في النهاية هي وعاؤنا الذي نلتقي فيه على التعاون والعمل على صون هويتنا وتراثنا الديني والإنساني، الذي نسعى لأن يساهم في حضارة الإنسانية المعاصرة.

أيها الإخوة..

إنني أتمنى النجاح لاجتماعاتكم هذه، كما أتمنى أن تواصل مؤسسة البابطين، بقيادة هذا الرجل العاشق لفن الكلمة الأخ عبدالعزيز سعود البابطين عملها الدؤوب من أجل خدمة الشعر العربي ولغته الجميلة الساحرة، وأن نجتمع دائمًا للاحتفال بمشروعات ناجحة من مشاريعها القادمة.

كما أرجو أن تكونوا خلال مناقشاتكم في هذه الندوة على ثقة بأنه لا قيد على رأي ولا مصادرة لأي كلمة، لأن الكويت، كانت دائمًا وسوف تبقى، كما عهدتموها، بلدًا لحرية الكلمة والرأي، وبلدًا للحوار والتسامح مع النفس والآخر.

أشكركم على حسن استماعكم وأتمنى لكم طيب الإقامة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

كلمة قداسة البابا بنديكت السادس عشر
ألقاها نيافة المطران منجد الهاشم

أصدقائي الأعزاء..

إن الدكتور عبدالعزيز سعود البابطين، مؤسس ورئيس مجلس أمناء جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وجه دعوة كريمة لقداسة البابا بنديكت السادس عشر لحضور الدورة الحادية عشرة للمؤسسة وبخاصة ندوة الحوار الثقافي بعنوان: «عالم اليوم ثقافات ومصالح».

إن قداسته يبارك هذه الدعوة الكريمة والمعاني الجميلة التي حملتها في طياتها وما فيها من معرفة واطلاع على الدور الذي يقوم به قداسته في تعزيز الحوار بين العالمين الإسلامي والمسيحي. إنه لشرف كبير لي وإنه لمن دواعي سروري أيضًا من خلال مكاني كرئيس لمجلس الأساقفة لحوار الأديان، أن أكون الشخص المكلف الذي ينقل لكم هذه الرسالة التي ستقرأ من خلال السفير البابوي في الكويت، المطران منجد الهاشم.

نص رسالة قداسة البابا بنديكت السادس عشر

إن الكنيسة الكاثوليكية تبدي اهتمامًا دائمًا تجاه الثقافات وخصوصًا جذورها الدينية، فهي تحتضن كل تعابير الثقافة الصادقة المخلصة من كل الديانات.

لقد شهد الاهتمام بهذا الموضوع في الآونة الأخيرة تزايدًا ملحوظًا من خلال إنشاء أجهزة مركزية مثل مجلس الأساقفة للثقافة ومجلس الأساقفة لحوار الأديان، وكما تعلمون فإن مجلس الأساقفة هذا تم تأسيسه من قبل قداسة البابا بولس السادس – رحمه الله – في التاسع عشر من مايو عام ١٩٦٤، من أجل وضع دراسات مناسبة وإقامة علاقات ودية وطيبة بين الكنيسة الكاثوليكية والمجتمعات والأشخاص من ديانات أخرى.

كتابعين لديانة توحيدية إبراهيمية فإن المسلمين لهم مكانة خاصة ومركزية لدى مجلس الأساقفة لحوار الأديان. كما يوجد أيضًا ضمن المجلس بعثة للعلاقات الدينية مع المسلمين وبعثة مماثلة للعلاقات مع اليهودية.

وفي ما يخص الشعر والإبداع فيه لست بحاجة أن أخبركم أن التعابير الشعرية الصحيحة تتجاوز كل الحدود البشرية سواء كانت الدينية أم الثقافية أم العرقية، فعندما تتواصل فإن ما هو صحيح ونبيل هو عام وتعبير عن الروح البشرية متضمنًا الوجدان الديني مثل الحب للإله والعبادة والإطراء وطلب المساعدة والغفران.

في الحقيقة إن الشعراء من كل الأديان كانوا قد كتبوا قصائد معروفة في مناجاة الله عزَّ وجل فاتحين قلوبهم مستشعرين عظمته، إحدى هذه القصائد الشهيرة هي «أنشودة المخلوقات» التي كتبها القديس فرانسيس أسيسي، حيث الثناء على الله عزَّ وجل والدعوة إلى التعبير عن الشكر والعرفان إليه. ابن الشرق، القديس أفرام السوري (٣٠٦ – ٣٧٣) هو أحد أهم شعراء المسيحية إلى درجة أنه لقب بـ «قيثارة روح القدس».

إنني على اطلاع ومعرفة بأن الإسلام لديه العديد من الصوفيين الذين استخدموا الشعر ليعبروا عن مشاعرهم الدينية.

وأخيرًا أود أن أذكِّر بأن البابا الراحل يوحنا بولس الثاني كان شاعرًا أيضًا وكتب قصائد عدة. ولذلك فالشعراء منكم في صحبة طيبة.

وبالنسبة لموضوع ندوة «عالم اليوم ثقافات ومصالح» فإن الثقافة تستحق هذا الاسم، وكما تعلمون فإنها تحتضن كل الحياة الإنسانية وتمنحها الفائدة بشكل حسن وجيد، والثقافة المبدعة تتجاوز المصالح الفردية وترتقي بها إلى مستوى قادر على خلق قيم مشتركة. فالمنفعة والربح يجب أن لا تكون وحدها العوامل المسيطرة على العلاقات بين أفراد الجنس البشري وخاصة الأشخاص المتجذرين بأصولهم وعاداتهم الدينية.

أسأل الله أن يبارككم ويبارك دورتكم الكريمة.

رئيس مجلس الأساقفة لحوار الأديان

الكاردينال جين لويس توران

****

المحتوى

الدورة الأولى

الدورة الثانية

الدورة الثالثة: «دورة محمود سامي البارودي»

الدورة الرابعة: «دورة أبي القاسم الشابي»

الدورة الخامسة: «دورة أحمد مشاري العدواني»

ملتقى: «محمد بن لعبون»

الدورة السادسة: «دورة الأخطل الصغير»

ملتقى: «سعدي الشيرازي»

الدورة السابعة: «دورة أبي فراس الحمداني والأمير عبدالقادر الجزائري»

مئوية الرحيل والميلاد «الذكرى المئوية
لوفاة الشاعر عبدالله الفرج وميلاد الشاعر أمين نخلة»

الدورة الثامنة «دورة علي بن المقرب العيوني وإبراهيم طوقان»

الدورة التاسعة: «دورة ابن زيدون»

ملتقى الكويت الأول للشعر العربي في العراق

الدورة العاشرة

«دورة أحمد شوقي وألفونس لامارتين»

الدورة الحادية عشرة: «دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

****


Kuwait Printing Press
Al Khat International Co.

هذا الإصدار

هذا الكتاب يتضمن كلمات الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين رئيس مجلس أمناء المؤسسة منذ الدورة الأولى - التي أقيمت في القاهرة في ١٧ مايو ١٩٩٠ بعد عام واحد من نشأة المؤسسة - حتى الكلمة التي ألقاها في افتتاح الدورة الحادية عشرة التي أقيمت في الكويت في أكتوبر من عام ٢٠٠٨.

وهذه الكلمات المتتالية عبر السنوات العشرين التي خلت وما صاحبها من كلمات لرؤساء الدول أو ممثليهم ورعاة دورات المؤسسة وملتقياتها، تتيح الفرصة للمتابع المهتم للتعرف إلى نهج المؤسسة وفكرها وتوجهاتها.



مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت 2009